أيُّهَا المبْتَلى... أبْشِرْ

الابْتِلاءُ

تطْهِيرٌ ونِعْمَةٌ مِنْ رَبِّ الأرْضِ والسَّماءِ

أعَدَّهُ وكَتَبَهُ

هَانِي سَعْد غُنَيْم

آيَاتُهُ مُخَرَّجَةٌ وأحَادِيثُهُ مُحَقَّقَةٌ

الطَّبْعَةُ الثَّالِثَةُ (مَزِيدَة ومُنَقَّحَة)
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

قَالَ اللهُ تَعَالَى

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾

[البقرة ١٥٥-١٥٧]

قَال رَسُولُ اللهِ ﷺ(١): «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخَطُ».

رقْمُ الإيداعِ بدار الكُتُب والوثائق القوميَّة ٢٠٠٤/١٣٤٤١
الترقيم الدّولي I . S . B . N
977-17-1569-0
بتاريخ ١١-٧-٢٠٠٤

(١) (صحيح): أبو داود ٤٤٥٦، الترمذي ٢٣٩٦، صحيح الجامع ٢١١٠

الإهداءُ

إلى كلِّ مُبْتَلى ابْتَلاهُ رَبُّهُ ﷻ، عَظُمَتْ ذُنُوبُهُ واشْتَدَّ بَلاؤُهُ، فَصَبَرَ وَشَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، أُوَجِّهُ إِلَيْه رِسَالَتي هَذه؛ لِيَزْدَادَ إِيْمَانًا مَعَ إيْمَانه، فَهُوَ يَعْلَمُ -يَقِيْنًا- أَنَّ ذُنُوبَهُ لَوْ بَلَغَتْ عَنَانَ السَّمَاء ثُمَّ اسْتَغْفَرَ مَوْلاَهُ غَفَرَ لَهُ مَا كَانَ مِنْهُ وَلاَ يُبَالي، وَأَنَّ ابْتلاءَهُ مَهْمَا تَخُنَ فَهُوَ نعْمَةٌ منْ رَبِّه وَتَطْهِيرٌ؛ حَتَّى يَنْقَلِبَ إِلَى رَبِّه مَسْرُورًا.

وإِلَى كُلِّ مُبْتَلى ابْتَلاهُ رَبُّهُ ﷻ، حَتَّى وَصَلَ به الحَالُ وَالمآلُ إِلَى دَرَجَةٍ عَظِيمَةٍ منَ الضِّيْقِ وَالشِّدَّة، حَتَّى أَوْشَكَ أَنْ يَيْأَسَ مِنْ رَحْمَةِ الله، أَقُولُ لَهُ بِملْءِ فَمِي نَاصِحًا نَفْسِي وَإِيَّاهُ: لاَ.. لاَ تَيْأَسَنَّ مِنْ رَحْمَةِ الله؛ فَإِنَّ كُلَّ قَانِطٍ يَائِسٍ ضَالٌّ، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ [الحجر:٥٦]..

فَارْجعْ وَتُبْ وَأَقْلِعْ وَالْزَمْ طَرِيقَ المُتَّقِينَ، وَاهْتَد بِهَدْي نَبِيِّكَ الأَمين ﷺ، وَاثْبُتْ عَلَى ذَلكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ (الموت)؛ تَنْجُ -إِنْ شَاءَ اللهُ- مِنْ عَذَابٍ عَظِيمٍ بِرَحْمَةِ الله العَلِيم.. جَعَلَني اللهُ وَإِيَّاكَ مِنَ المُتَّقِينَ فِي الدُّنْيَا الفَائِزِينَ يَوْمَ الدِّين.

مُقَدِّمَة

عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَادَ رَجُلاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ؛ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ[1]، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ[2]: «هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟! قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ ما كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الآخِرَةِ فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: سُبْحَانَ اللَّهِ لا تُطِيقُهُ أَوْ لا تَسْتَطِيعُهُ أَفَلا قُلْتَ: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ قَالَ: فَدَعَا اللَّهَ لَهُ فَشَفَاهُ..

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ: لإِنْ أُعَافَ فَأَشْكُر خَيْرٌ لِي مِنْ أَنْ أُبْتَلَى فَأَصْبِر، وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ[3]: ...وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الوَارِثَ مِنَّا، وَمَن

---

(١) مثل الفرخ: ضعيف الجسم من شدة المرض.

(٢) (صحيح): أحمد ١٠٧/٣، مسلم ٢٦٨٨، وروى البخاري بعضه ٤٥٢٢.

(٣) (حسن): الترمذي٣٥٠٢، صحيح الجامع ١٢٦٨.

الوَفَاء العَظيم مَعَ الله شُكْرُهُ عَلَى نعَمه، لذَا تَوَعَّدَ اللهُ جَاحدَ نعَمه وَمَانعَ خَيْره بجَهَنَّمَ: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ﴾ [ق ٢٤-٢٥] فَلاَ تَكْفُرْ؛ وَأَحْسنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ عَلَيْكَ؛ فَإنَّ لكُلِّ نعْمَة شُكْرًا فَأَدِّ شُكْرَهَا، فَمَنْ يَشْكُرْ فَإنَّمَا يَشْكُرُ لنَفْسه؛ لأَنَّ شُكْرَكَ اللهَ يُسْفرُ عَن الخَيْر وَالبَرَكَة في كُلِّ مَا تَمْلكُهُ، وَمَنْ كَفَرَ فَالعَذَابُ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم٧] وَقَدْ فَضَّلَ كَثيرٌ منْ أَهْل العلْم الغَنيَّ الشَّاكرَ عَلَى الفَقير الصَّابر؛ لأَنَّهُ قَلَّمَا تَجدُ غَنيًّا شَاكرًا إلاَّ مَنْ رَحمَ اللهُ، فَإنَّ الثَّرَاءَ دَاعيَةُ الطُّغْيَان، وَالاسْتغْنَاء عَنْ رَبِّ الأَنَام، فَرُبَّمَا يَنْشَغلُ المُنَعَّمُ بالنِّعْمَة عَن المُنعم العَظيم سُبْحَانَهُ، وَكَثيرٌ مَا هُمْ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كَلا إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق٦-٧] وَمَظَاهرُ الشُّكْر ثَلاثَةٌ: التَّحَدُّثُ بنعَم الله الظَّاهرَة، وَالاعْترَافُ بنعَم الله البَاطنَة، وَالاسْتعَانَةُ بنعَم الله عَلَى طَاعَة

المُنعِم، فشَرْطُ وقَيْدُ دَوَامِ النِّعَمِ الموْجُودَةِ شُكْرُهَا، أمَّا الدُّعَاءُ فهُوَ قَيْدٌ لاستجْلاَبِ النِّعَمِ المفْقُودَةِ، فَادْعُ لنفسكَ وَللمُسْلمينَ -دَائمًا- بالعَفْوِ وَالمعَافَاةِ في الدّنيا وَالآخرَةِ؛ وَلاَ تُوَظِّفْ نعَمَ الله عَلَيْكَ في مَعَاصيه؛ وَاذْهَبْ إلَى أَهْلِ البَلاَءِ؛ لِتُوَاسيَهُمْ وَتَرْفَعَ منْ مَعْنَويَّاتِهِم، وَتُصَبِّرَهُمْ أَوْ تَتَعَلَّمَ منْهُمُ الصَّبْرَ قَبْلَ ابتلائكَ، وَتَدْعُوَ لنفسكَ وَتَشْكُرَ رَبَّكَ أَنْ عَافَاكَ ممَّا ابْتلاَهُمْ به، فَقَدْ نَصَحَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إذَا رَأَى أَحَدُنَا صَاحبَ بَلاَءٍ فَلْيَقُلْ[1]: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلاكَ بِهِ وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلاً لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ الْبَلاءُ".

حينئذٍ فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ تلْكَ النِّعْمَةِ، وَأَحْسَنُ الكَلاَمِ في الشَّكْوَى سُؤَالُ المولَى -جَلَّ وَعَلاَ- كَشْفَ البَلْوَى، فَاسْتَدْفِعُوا أَمْوَاجَ البَلاَءِ بالتَّضَرُّعِ وَالدُّعَاءِ؛ فَلَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى الله منَ الدُّعَاءِ، وَأَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الدُّعَاءِ، وَلاَ يَرُدُّ القَدَرَ إلاَّ الدُّعَاءُ؛ فَأَكْثِرُوا مِنَ الدُّعَاءِ

---

(١) (حسن): الترمذي ٣٤٣٢، صحيح الجامع ٦٢٤٨.

وَالمناجَاة؛ فإنَّ اللهَ يَسْمَعُ مَنْ نَادَاهُ، وَمَنْ سَأل الله بصِـدْقٍ كَشَفَ عَنهُ بَلْوَاهُ وَحَمَاهُ وَوَقَاهُ، وَحَقّقَ لهُ سُؤْلهُ وَمُنَاهُ، أَلَيْسَ كَذَلكَ؟!قُلْ: بَلَى وَأَنْتَ مُطْمَئِنُّ النَّفْس، وَلا تَـدْعُ علـى نَفْسكَ وَإِخْوَانكَ وَأَحْبَابكَ بالسُّوء، فَرُبَّمَا يُوَافِـقُ الـدُّعَاءُ سَاعَةَ إجَابَةٍ؛ وَلَكنْ إذَا مَا قَدَّرَ اللهُ الابْتلاء وحَلَّ بكَ فَاعْلَمْ أنَّكَ وَضَعْتَ قَدَمَكَ الآنَ في أوَّل طَريق الأَنْبيَاء؛ فَمَا منْ نَبيٍّ أَرْسَلَهُ اللهُ إلَى قَوْمه إلا وَابْتُليَ في أَهْله أَوْ مَالـه أَوْ وَلَـده وَكَذَّبَهُ قَوْمُهُ، يَقُولُ ابنُ القَيِّم -رَحمَهُ الله- في كتَابه القَـيِّم (الفَوَائد): أَيْنَ أَنْتَ؟! وَالطَّريقُ: طَريقٌ تَعبَ فيه آدَمُ، وَنَاحَ لأجْله نُوحٌ، وَرُميَ في النَّـار الخَليـلُ، وَاضْـجعَ للـذَّبْح إسْمَاعيلُ، وَبيعَ يُوسُفُ بثَمَنٍ بَخْسٍ، وَلَبثَ فـي السِّـجْنِ بضْعَ سنينَ، وَنُشرَ بالمنْشَار زَكَريَّا، وَذُبحَ السَّيِّدُ الحَصُـورُ يَحْيَى، وَقَاسَ الضُّرَّ أَيُّوبُ، وَزَادَ عَلَى المقْدَار بُكَـاءُ دَاوُدَ، وَسَارَ مَعَ الوَحْشِ عيسَى، وَعَالَجَ الفَقْرَ وَأَنْوَاعَ الأَذَى مُحَمَّدٌ ﷺ.

ثَبَّتَكَ اللهُ وَصَبَّرَكَ، وَأَجْزَلَ لَنَا وَلَكَ الثَّوَابَ وَالعَطَـاءَ،

وَإِلَى مَادَّةِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ، نَفَعَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ بِهَا، وَلاَ يَسَعُنِي إِلا أَنْ أَدْعُوَ لأَخِي وَصَدِيقِي الصَّدُوقِ/ عِمَاد حَسَن أَبُو العَيْنَيْن؛ عَلَى مَا قَدَّمَهُ مِنْ تَعَاوُن صَادِق فِي إِخْرَاجِ هَـذَا الكِتَـاب، جَزَاهُ اللهُ خَيْرَ الجَزَاءِ، وَاللهُ الهَادِي إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ.

الفَقِيرُ إِلَى عَفْوِ رَبِّهِ القَدِيرِ

هَانِي سَعْد غُنَيْم

هَاتِف مَنْزِل رَقْم ٢٧٨٦٣٩٧-٠٥٠

جُمْهُورِيَّة مِصْرَ العَرَبِيَّة-الدَّقَهْلِيَّة-بِلْقَاس-شَارِع سَاحِل طِعِيمَة

مَسَاءَ الأَرْبَعَاءِ فِي ٢٩ مِنْ رَبِيع الأَوَّل ١٤٢٥

المُوَافِق ١٩ مِنْ مَايُو ٢٠٠٤

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّد وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

الابْتِلاءُ لُغَةً:

فِي هَذَا البَاب نُلْقِي الضَّوْءَ -إنْ شَاءَ اللهُ- عَلَى المعْنَى اللُّغَويِّ لكَلمَة (الابْتلاء) فَمَعْرفَةُ المعْنَى اللُّغَويِّ منَ الأهَميَّة بمَكَان، وَمنْ خلال هَذَا المعْنَى يَسْتَطيعُ الإنْسَانُ أنْ يَقفَ عَلَى مَعَان مُتَعَدِّدَة لَمْ تَكُنْ في الحُسْبَان، وَلاَ سيَّمَا وَقَدْ ضَاعَت اللُّغَةُ منْ بَيْن أيْدي أهْلهَا، فَعنْدَمَا يَعْلَمُ الإنْسَانُ أنَّ للابْتلاَء عدَّةَ مَعَان منْهَا عَلَى سَبيل المثَال لاَ الحَصْر: الإنْعَامُ وَالإحْسَانُ وَالاجْتهَادُ وَالاخْتبَارُ، فَيَسْعَدُ بمَا أنْعَمَ اللهُ عَلَيْه في السَّرَّاء وَالضَّرَّاء، فَالابْتلاَءُ يَكُونُ في الشَّرِّ وَالخَيْر مَعًا، إذًا..فَالمعْنَى اللُّغَويُّ مُهمٌّ جدًّا.

أَقُولُ: بَلَوْتُ الرَّجُلَ بَلْوًا وَبَلاءً وَبَلْوَى وَبَليَّةً وَبلْوَةً وَبلْيَةً(١) وَهَذه الكَلمَاتُ مَعْنَاهَا: المحْنَةُ الَّتي تَنْزلُ بالمَرْء أو الاخْتبَارُ، وَبَلاَهُ يَبْلُوهُ بَلْوًا، أي: جَرَّبَهُ وَاخْتَبَرَهُ وَعَرَفَهُ، وَابْتلاَهُ اللهُ: امْتَحَنَهُ وَاخْتَبَرَهُ، أبْلاَهُ اللهُ، وَيُبْليهُ اللهُ بَلاَءً حَسَنًا

---

(١) راجع اللسان، المعجم الوجيز، مادة بلي.

أي: صنَعَ به صُنْعًا جَميلاً، قَالَ اللهُ: ﴿وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الآيَاتِ مَا فِيهِ بَلاءٌ مُّبِينٌ﴾ [الدخان ٣٣] البَلاَءُ فِي الآيَةِ: الإِنْعَامُ البَيِّنُ، وَفِي الحَدِيثِ[1]: «مَنْ أُبْلِيَ فذكَرَ فقَدْ شَكَرَ» أُبْلِي: أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَفِي حَدِيث كَعْب بن مَالك[2]: مَا عَلِمْتُ أَحَدًا أَبْلاَهُ اللهُ أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلاَنِي. أَبْلاَهُ: أَنْعَمَ عَلَيْهِ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ، وَمِنْ كَلاَمِ العَرَبِ الجَمِيلِ فِي هَذَا المعْنَى قَوْلُ زُهَيْرٍ:

جَزَى اللهُ بالإِحْسَانِ مَا فَعَلاَ بِكُمْ وَأَبْلاَهُمَا خَيْرَ البَلاءِ الَّذِي يَبْلُو

والمعْنَى فِي البَيْت أي: صَنَعَ بِهِمَا خَيْرَ صَنِيعٍ.

وَالابْتِلاَءُ يَكُونُ فِي الشَّرِّ وَالخَيْرِ مَعًا مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ، قَالَ اللهُ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء ٣٥] قَالَ القُتَيْبِي: يُقَالُ -غَالِبًا- فِي الخَيْرِ: ابْلَيْتُهُ

(١) (صحيح): أبو داود ٤٨١٤، صحيح الجامع ٥٩٣٣.

(٢) (صحيح): البخاري ٤٦٧٨، مسلم ٢٧٦٩، أبو داود ٢٢٠٢، الترمذي ٣١٠٢، النسائي ٣٨٢٤، أحمد ١٥٣٤٣.

إبْلاءً، ويُقالُ-أيْضًا-في الشَّر: بَلَوْتُهُ بَلاءً، وَالبَلاءُ الاجْتِهادُ أوالعَمَلُ الحَسَنُ، أقُولُ: أَبْلَى فُلانٌ بَلاءً حَسَنًا، وَفِي حَدِيث سَعْد يَوْمَ بَدْر[1]: «عَسَى أنْ يُعْطَى هَذا مَنْ لا يُبْلِي بَلائِي»، أيْ يَعْمَلُ مِثْلَ عَمَلِي فِي الحَرْب. وَأنْشَدَ ابنُ الأعْرَابِيِّ:

مَا لِي أرَاكَ قَائِمًا تُبَالِي وَأنْتَ قَدْ قُمْتَ مِنَ الهُزَالِ؟!

الابْتِلاءُ: البَيَانُ، فَأقُولُ: أَبْلَيْتُ فُلانًا عُذْرًا، أيْ: بَيَّنْتُ وَجْهَ العُذْرِ؛ لأُزِيلَ عَنِّي اللَّوْمَ، وَأَبْلاهُ عُذْرًا أي: أدَّاهُ إلَيْهِ فَقَبِلَهُ..وَمِنْ مَعَانِيه أيْضًا الحَلف إذَا قُلْتُ: أَبْلَيْتُ الرَّجُلَ أي: أحْلَفْتهُ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِر:

تُبَغِّي أبَاهَا فِي الرِّفَاقِ وَتَبْتَلِي وَأَوْدَى بِه فِي لُجَّةِ البَحْرِ تَمْسَحُ

أي: تَسْألُهُمْ أنْ يَحْلِفُوا لَهَا وَتَقُولُ لَهُمْ: نَاشَدتُكُمُ اللهَ هَلْ تَعْرِفُونَ لأبِي خَبَرًا؟!.. وَيَأْتِي بِمَعْنَى الإرَادَة وَالقَصْد فَفِي الحَدِيث: إنَّمَا النَّذْرُ مَا ابْتُلِيَ بِه وَجْهُ الله، أي: أُرِيدَ بِه وَجْهُهُ وَقُصِدَ، وَحَسْبُنَا مِنَ المَعَانِي مَا ذَكَرْنَاهُ..

(١) (صحيح): مسلم ١٧٤٨، أبو داود ٢٧٤٠، الترمذي ٣٠٧٩، أحمد ١٥٤١.

آدَابُ الابْتِلاَءِ:

الابْتلاَءُ تَطْهيرٌ وَنعْمَةٌ منْ رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَاء، هَكَــذَا عَنوَنْتُ هَذَا الكتَابَ، والابْتلاَءُ لَــهُ آدَابٌ؛ وَأَعْظَــمُ آدَاب الابْتلاء الصَّبْرُ، وَالصَّبْرُ رِزْقٌ عَظيمٌ، يُنْعمُ اللهُ به عَلَى عَبْده المؤْمن، فَاللهُ قَسَّمَ الأَخْلاَقَ كَمَا قَسَّمَ الأَرْزَاقَ، فَكُنْ كَمَــا قَالَ شَقيقُ البَلْخيُّ –رَحمَهُ اللهُ–: نَحنُ قَوْمٌ إِذَا ابْتُلينَا صَبَرْنَا، وَإِذَا أُعْطينَا شَكَرْنَا، وَللهِ دَرُّهُ القَائلُ:

قَــدْ يُــنعِمُ اللهُ بــالبَلْوَى وَإنْ عَظُمَــتْ ... وَيَبْتَلِــي اللهُ بَعْــضَ القَــوْمِ بِــالنِّعَمِ

فَلَيْسَ كُلُّ إنْسَان يُرْزَقُهُ؛ وَمَنْ عَظيمِ رَحْمَة الله بعبَاده أَنَّهُ جَعَلَ مَعَ كُلِّ عُسْرٍ يُسْرَيْنِ، فَعَنْ زَيْد بن أَسْلَمَ قَالَ[1]: كَتَبَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى عُمَر بن الخَطَّاب يَذْكُرُ لَهُ جُمُوعًا منَ الرُّومِ وَمَا يَتَخَوَّفُ منهُم، فَكَتَبَ إِلَيْه عُمَرُ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ مَهْمَا يَنْزِلْ بعَبْد مُؤْمنٍ منْ شدَّة يَجْعَلِ اللهُ بَعْدَهَا فَرَجًا، وَإِنَّهُ

(١) (صحيح): أخرجه مالك وابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا وابن جرير والحاكم وصـــححه والبيهقي في شعب الإيمان.

لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح٥-٦] قَالَ ثَعْلَب [1]: إِنَّ مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ إِذَا ذَكَرُوا اسْمًا مُعَرَّفًا ثُمَّ كَرَّرُوهُ، فَهُوَ هُوَ، وَإِذَا نَكَّرُوهُ ثُمَّ كَرَّرُوهُ فَهُوَ غَيْرُهُ، وَهُمَا اثْنَانِ، لِيَكُونَ أَقْوَى لِلأَمَلِ، وَأَبْعَثَ عَلَى الصَّبْرِ.

فَمَنْ ذَاقَ الْبَلاَءَ عَرَفَهُ؛ فَلَيسَتْ النَّائحَةُ الْمَأْجُورَةُ كَالثَّكْلَى الْمَكْلُومَةِ، وَلَيْسَ مَنْ رَأى كَمَنْ سَمِعَ.

مَنْ رَاقَبَ اللهَ فِي الأُمُورِ نَجَـا ... صَبْرًا جَمِيلاً مَا أَقْرَبَ الْفَرَجَا
وَمَنْ رَجَاهُ يَكُونُ حَيْثُ رَجَـا ... مَنْ صَدَّقَ اللهَ لَـمْ يَنَلْـهُ أَذَى

فَالصَّبْرُ مُرٌّ كَاسْمِهِ، وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدُنَا أَنْ يَصْبِرَ بِمُفْـرَدِهِ إِلاَّ إِذَا صَبَّرَهُ اللهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا

---

(١) فائدة لغوية: إذا تتابعت نكرة واحدة في جملتين مختلفتين؛ فالنكرتان مختلفتان، أقول مثلا: لقيت رجلا وأكرمت رجلا، فالرجل في الجملتين مختلف، أما قولي: لقيت الرجل فأكرمت الرجل؛ فالرجل في الجملتين واحد، وكذلك في الآيتين الكريمتين العسر واحد واليسر اثنان، وقال الحسن أيضًا: لن يغلب عسرٌ واحد يسرين اثنين.

صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ ﴾ [النحل١٢٧] وَهَذَا نَبِيُّ اللهِ إِسْمَاعِيلُ عليه السلام يَقُولُ لأَبِيهِ عليه السلام وَقْتَ شِدَّتِهِ وَقَدْ قَدَّمَ المشِيئَةَ: ﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الصافات١٠٢] وَمَعْنَى قَوْلِهِ هَذَا: إِنَّ صَبْرِي لَيْسَ مِنِّي؛ وَإِنَّمَا بِمُعَاوَنَةِ رَبِّي، وَقَبْلَهَا قَالَ لأَبِيهِ عليه السلام: ﴿ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾ [الصافات١٠٢] وَلَمْ يَقُلْ: افْعَلْ مَا رَأَيْتَ فِي مَنَامِكَ، وَإِنَّمَا نَسَبَ الأَمْرَ للهِ، وَصَبَرَ عليه السلام عَلَى الأَمْرَيْنِ مَعًا بِفَضْلِ اللهِ عَلَيْهِ؛ لِذَا قَالَ اللهُ فِيهِ: ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا ﴾ [مريم٥٤] وَكَذَلِكَ كَانَ قَوْلُ نَبِيِّ اللهِ مُوسَى عليه السلام لِلخَضِرِ: ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا ﴾ [الكهف٦٩]. فَادْعُ اللهَ أَنْ يَرْبِطَ عَلَى قَلْبِكَ وَقْتَ الشِّدَّةِ، قَالَ اللهُ فِي شَأْنِ أُمِّ مُوسَى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص١٠] وَقَالَ فِي أَهْلِ الكَهْفِ: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى وَرَبَطْنَا عَلَى

قُلُوبِهِمْ﴾ [الكهف١٣-١٤].

وَاحْذَرْ أَنْ تُفْتَنَ قَبْلَ مَوْتكَ بسَبَب ابْتلائكَ، وَأَعْرِضْ نَفْسَكَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى عَلَى قُرْآن رَبِّكَ وَسُنَّة نَبيِّكَ؛ لتَعْرِفَ أَيْنَ الخَلَلُ في نَفْسكَ؟! فَهَا هُوَ عُبَيْدُ الله بنُ جحْش(1) الَّذي كَانَ زَوْجًا لأُمِّ حَبيبَة، وَأَسْلَمَ مَعَهَا وَهَاجَرَ إلَى الحَبَشَة، وَلَكنَّهُ فُتنَ فَتَنَصَّرَ فَمَاتَ عَلَى نَصْرَانيَّته، وَكَذَلكَ عَبْدُالله بنُ خطَلٍ الَّذي قُتلَ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بأَسْتَار الكَعْبَة وَرَبيعَةُ بنُ أُمَيَّةَ بن خَلَف، فَادْعُ اللهَ الثَّبَاتَ عَلَى الإسْلام الَّذي هَدَاكَ اللهُ إلَيْه، كَانَ الشَّافعيُّ –رَحمَهُ اللهُ– يُكْثرُ منْ قَوْله: اللَّهُمَّ إنَّكَ هَدَيْتَني إلَى الإسْلَام دُونَ أَنْ أَسْأَلَكَ؛ فَاهْدني إلَى الجَنَّة، وَأَنَا أَسْأَلُكَ؛ فَالصَّبْرُ طَريقُ الجَنَّة..

وَالصَّبْرُ منْ أَعْظَم الأُمُور، وَلَا يَتَأَدَّبُ بالصَّبْر إلَّا صَاحبُ العَزيمَة، لذَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ

(1) راجع مجلة التوحيد العدد الحادي عشر ١٤٢٥هـ مقال المستشار أحمد السيد علي

لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ [الشورى٤٣] فَانْظُرْ إِلَى قَوْلِ اللهِ (لَمِنْ) حَتَّى لاَ تَنْتَقِمَ لِنَفْسِكَ مِنْ غَرِيمِكَ، فَالآيَةُ مُؤَكَّدَةٌ بِاللامِ؛ لِحَثِّ المُؤْمِنِ عَلَى عَدَمِ الانْتِقَامِ؛ فَلْتَصْبِرْ وَلاَ تَنْتَقِمْ، فَالصَّبْرُ هُنَا فِيهِ غَرِيمٌ، أَمَّا قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ [لقمان١٧] فَهَذَا صَبْرٌ لاَ غَرِيمَ لَكَ فِيهِ مِثْلُ الصَّبْرِ عَلَى المَرَضِ، أَوْ عَلَى مُصِيبَةٍ؛ أَنْتَ سَبَبٌ فِيهَا، فَقَالَ اللهُ (مِنْ) فَقَطْ، وَالصَّبْرُ دَيْدَنُ المُؤْمِنِ، فَإِنَّ اللهَ مَا مَنَّ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ بِسَبَبِ صَبْرِهِم؛ فَجَعَلَهُم أَئِمَّةً فِي عَصْرِهِم، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة٢٤].

فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ إِمَامًا تَدْعُو إِلَى الجَنَّةِ، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ إِمَامًا تَدْعُو إِلَى النَّارِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي آلِ فِرْعَوْنَ: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يُنصَرُونَ ﴾ [القصص٤١]

وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ يُعْطِي البَلاَءَ عَلَى قَدْرِ تَحَمُّلِ الإِنْسَانِ لَهُ.

وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ بِهَا الفَتَى ... ذَرْعًا وَعِنْدَ اللهِ مِنْهَا المَخْرَجُ
كَمُلَتْ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلقَاتُهَا ... فُرِجَتْ وَكَانَ يَظُنُّهَا لاَ تُفْرَجُ

يَقُولُ أَحَدُ المُبْتَلِينَ: إِنَّ اللهَ ابْتَلاَنِي بِمَرَضٍ أَوْ بِأَزْمَةٍ فَوْقَ قُدْرَتِي، أَقُولُ لَهُ -نَاصِحًا نَفْسِي وَإِيَّاهُ-: لاَ تَقُلْ مِثْلَ هَـذَا الكَلاَمِ، فَكَلاَمُكَ هَذَا مُخَالِفٌ لآيَةٍ صَرِيحَةٍ فِي القُرْآنِ؛ فَـلاَ تَخْرُجْ مِنْ دَائِرَةِ الإِيمَانِ، قَالَ اللهُ رَبُّ الأَنَامِ ﷻ: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة١٨٦]

وَلَكِنَّ مَا فَوْقَ طَاقَةِ الإِنْسَانِ هُوَ عَذَابُ يَوْمِ القِيَامَةِ نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ -قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل٨٨] وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ [هود٢٠]:

مَرَاتِبُ الابْتِلَاءِ

اعْلَمْ-حَبِيبِي فِي اللهِ-أَنَّ لِلابْتِلَاءِ ثَلاثَ مَرَاتِبَ مُهِمَّةٍ وَهِيَ:

أَوَّلًا: مَرْتَبَةُ التَّمْحِيصِ:

قَالَ اللهُ فِي كِتَابِهِ الكَرِيمِ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد:٣١] لِتَعْلَمَ-عِلْمَ اليَقِينِ-أَنَّ الابْتِلاءَ اخْتِبَارٌ وَتَمْحِيصٌ؛ وَالابْتِلاءُ دَرَجَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ دَرَجَاتِ النُّبُوَّةِ، وَهُوَ دَلِيلُ رِضَا اللهِ عَلَى عَبْدِهِ المؤْمِنِ؛ وَلَيْسَ دَلِيلَ غَضَبٍ كَمَا يَظُنُّ بَعْضُ النَّاسِ؛ يَقُولُ أَحَدُهُم: إِنَّ اللهَ ابْتَلَى فُلانًا بِكَذَا وَكَذَا بِسَبَبِ سُوءِ عَمَلِهِ، لاَ..لَيْسَ الأَمْرُ كَذَلِكَ؛ فَاللهُ يَبْتَلِيكَ؛ لِيَعْلَمَ مَدَى صَبْرِكَ وَشِدَّةِ إِيمَانِكَ وَصِدْقِكَ، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت١-٣] فَقَدْ يَفْتَحُ اللهُ لِلعَبْدِ بَابَ العَمَلِ وَيُغْلِقُ فِي وَجْهِهِ بَابَ القَبُولِ؛ لأَنَّهُ لاَ إِخْلاَصَ

في عَمَله، وَرُبَّمَا يَأْتِي العَبْدُ بِذُنُوبٍ كَثِيرَةٍ؛ ثُمَّ يَتُوبُ مِنْهَا؛ فَكَانَ سَبَبًا لِلوُصُولِ.

إِذًا..لابُدَّ مِن ابْتلاء، فَوَطِّنْ نَفْسَكَ -أخي الكَرِيمَ- عَلَى ذَلكَ منَ الآن؛ حَتَّى لاَ تُفَاجَأَ به، وَاصْبِرْ -حَبِيبي في الله- إِنَّ العَاقِبَةَ للمُتَّقِينَ..فَهَا هُمُ الأَنْبِيَاءُ يُبْتَلَوْنَ -وَهُمْ صَفْوَةُ البَشَرِ عَلَى الإِطْلاقِ- فَلِمَاذَا يَفْزَعُ أَحَدُنَا إِذَا أَصَابَهُ ابْتلاءٌ أَوْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ؟! وَرُبَّمَا يَخْسَرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج١١].

وَمَا أَجْمَلَ إِجَابَةَ أَبِي ذَرٍّ الغفَارِيِّ ﷺ!عنْدَمَا يُسْأَلُ عَنْ أَجْمَلِ ثَلاثَةِ أَشْيَاءَ أَحَبَّهَا في حَيَاته، فَقَالَ ﷺ: الجُوعُ وَالمَرَضُ وَالمَوْتُ، فَسُئلَ لمَاذَا؟! فَقَالَ: إِذَا جُعْتُ رَقَّ قَلْبِي، وَإِذَا مَرِضْتُ خَفَّ ذَنْبِي، وَإِذَا مُتُّ قَابَلْتُ رَبِّي..

وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللهُ بِقَدَرٍ وَحِكْمَةٍ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر٤٩]

فكُلُّ شَيْءٍ فِي هَذَا الكَوْنِ وُجِدَ بحكْمَةٍ ولحكْمَةٍ.

رُبَّمَا لا نعْرِفُ تلْكَ الحكْمَةَ منْ هَذَا الأَمْرِ أَوْ ذَاكَ إلاَّ بَعْدَ وُقُوعه بأَعْوَام وَأَعْوَام، فَالكَوْنُ كُلُّهُ وَمَا فيه لَمْ يُخلَقْ هَبَاءً أَوْ سُدًى، وخَاصَّةً مَقَاديرَ الله عَلَى العبَاد منْ صحَّة وَمَرَض وَفَقْر وَغنًى وَحَيَاة وَمَوْت...الخ

الرِّزْقُ وَالحرْمَانُ مَجْرَاهُمَا بمَا قَضَى اللهُ وَمَا قَدَّرَا
فَاصْبِرْ إِذَا الدَّهْرُ نَبَا نَبْوَةً فَجُنَّةُ الحَازِمِ أَنْ يَصْبِرَا

ثانيًا: مَرْتَبَةُ التَّطْهِير:

رُبَمَا مَا وَرَاءَ الابْتلاَء وَالتَّمْحيص مَا لَيْسَ وَرَاءَ الصّحة وَالعَافيَة، فَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتَ لاَ تَعْلَمُ؛ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ [1]: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلا وَصَبٍ وَلا هَمٍّ وَلا حُزْنٍ وَلا أذًى وَلا

---

(١) (صحيح): البخارى ٥٦٤٢، مسلم ٢٥٧٣، الترمذى ٩٦٦. أحمد ٧٩٦٧.

غمٌّ حتَّى الشَّوْكَةِ يُشاكُهَا إلاَّ كفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خطَايَاهُ».

فَاللهُ -بِرَحْمَته وكَرَمه- يَبْتَلي الإِنْسَانَ منَّا، لِيُطَهِّرَهُ، ذَلكُمْ هُوَ حَالُ الْمؤْمنِ، أَمَّا فِرْعَوْنُ -مَثلاً- لَوْ قَرأْتَ سيرَتَهُ لَتَعَجَّبْتَ، فَقَدْ قيلَ عَنْهُ أَنَّهُ لَمْ يَمْرَضْ أَبَدًا، وَلَمْ يَشْكُ قَط إلاَّ عنْدَمَا أَخذَهُ اللهُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدرٍ؛ فَلاَ تَحْسَبَنَّ أَنَّكَ سَتَدْخُلُ الجَنَّةَ بذُنُوبكَ، لاَبُدَّ أَنْ تُنَقَّى منْهَا كَمَا تُنَقِّي الكيرُ الحَديدَ منْ خَبَثه؛ حَتَّى تَسيرَ عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْكَ خَطيئَةٌ، وَلَقَدْ قَالَهَا رَسُولُ الله مُحَمَّدٌ ﷺ -صَريحَةً- كَمَا عندَ أَصْحَاب السُّنَن[1]: «أَشَدُّ النَّاس بَلاءً الأَنْبيَاءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ مِنَ النَّاس، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ؛ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلابَةٌ زِيدَ فِي بَلائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ؛ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»..وَكَذَلكَ عَرَّفَهَا هِرَقْلُ حَيْثُ قَالَ لأَبِي سُفْيَان[2]:

---

(١) (صحيح): أحمد ١٦١٠، الترمذي ٢٣٩٨، ابن ماجة ٤٠٢٣، الدارمي٢٧٨٣، صحيح الجامع ٩٩٢.

(٢) (صحيح): البخاري ٢٨٠٤، مسلم ١٧٧٣، أبو داود ٥١٣٦، الترمذي ٢٧١٧، أحمد ٢٣٦٦.

سَأَلْتُكَ كَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ فَزَعَمْتَ أَنَّ الْحَرْبَ سِجَالٌ وَدُوَلٌ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى ثُمَّ تَكُونُ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ..وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف١١٠]

ثالثًا: مَرْتَبَةُ القُرْبِ والتَّكْرِيمِ

أَلَمْ أَقُلْ لَكَ–أَيُّهَا الحَبِيبُ اللَّبِيبُ–رُبَمَا يَكُونُ مَا وَرَاءَ الابْتِلاَءِ وَالتَّمْحِيصِ مَا لَيْسَ وَرَاءَ الصِّحة وَالعَافِيَة؟! فَهَذه المرْتَبَةُ هيَ ثَمَرَةُ التَّمْحِيصِ وَالتَّطْهِيرِ؛ فَأَبْشِرْ وَاعْلَمْ–أَيُّهَا الْمُبْتَلَى–أَنَّ اللهَ يُحِبُّكَ، فَمَنْ يَكْرَهُكَ؟! إِذَا أَحَبَّكَ اللهُ ﷻ فَحُبُّ اللهِ يَتْبَعُهُ حُبُّ جِبْرِيلَ عليه السلام ثُمَّ حُبُّ المَلائكَة، ثُمَّ يُوضَعُ لَكَ القَبُولُ فِي الأَرْضِ كَمَا وَرَدَ فِي الحَديث الصَّحيحِ، وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَصلَ إِلَيْه منْ خلال كَلمَاتي هَذه أَنْ أُطَمْئِنَ–بِحَوْلِ اللهِ وَقُوَّته–كُلَّ مُبْتَلَى، وَأَقُولُ لَهُ: اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ؛ فَأَنْتَ منَ المكَرَّمِينَ المقَرَّبِينَ إِنْ شَاءَ اللهُ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ

حساب ﴾ [الزمر١٠].

وَمَا يُؤَكِّدُ مَرْتَبَتَكَ عِنْدَ رَبِّكَ أَنَّ أَهْلَ الْعَافِيَةِ فِي الدُّنْيَا يَتَمَنَّوْنَ أَنْ يَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ الابْتِلاءَاتِ فِي الآخِرَةِ كَمَا أَخْبَرَ رَسُولُ رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ، فَقَالَ ﷺ(١): «يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلاءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيضِ».. سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ! هَذَا يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مُبْتَلَيًا -وَأَنْتَ مُبْتَلًى- يَتَمَنَّى أَنْ يَصِلَ إِلَى ثَوَابِكَ وَأَجْرِكَ، وَأَنْتَ -إِنْ شَاءَ اللهُ- نَحْسَبُكَ مِنَ الصَّابِرِينَ، اللهُ يُرِيدُ بِكَ خَيْرًا فَطِبْ نَفْسًا وَقَرَّ عَيْنًا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(٢): «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ؛ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وَاجْعَلْ صَبْرَكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّكَ، لاَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُقَالَ لَكَ أَنَّكَ صَابِرٌ، فَإِنَّ صَبْرَكَ هَذَا يُؤَهِّلُكَ

---

(١) (حسن): الترمذي ٢٤٠٢، صحيح الجامع ٨١٧٧

(٢) (صحيح): الترمذي ٢٣٩٦، ابن ماجة ٤٠٣١، صحيح سنن الترمذي ٦٠١/٤.

لدُخُولِ الجَنَّةِ بَعْدَ رَحْمَةِ رَبِّكَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد٢٢].

وَالْزَمْ طَرِيقَ الاسْتِغْفَارِ وَالإِنَابَةِ؛ حَتَّى يَرْحَمَكَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أَلَمْ تَقْرَأْ قَوْلَ رَبِّكَ ﷻ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾؟! [النساء١١٠].

فَرَحْمَةُ اللهِ تُصِيبُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ؛ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ الأَنْبِيَاءُ وَمِنْهُم نَبِيُّ اللهِ يُوسُفُ حَتَّى مَكَّنَ لَهُ فِي الأَرْضِ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنِّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاء نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف٥٦].

الابْتِلاءُ سُنَّةُ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ:

اعْلَمْ -زَادَكَ اللهُ عِلْمًا وَفَضْلاً وَصَبْرًا- أَنَّ الأَصْلَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا هُوَ الابْتِلاءُ وَالْمُكَابَدَةُ وَالشَّقَاءُ، قَالَ اللهُ الوَاحِدُ الأَحَدُ فِي سُورَةِ البَلَدِ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد٤] وَلَمْ يَقُلْ: مُكَابِدًا؛ وَإِنَّمَا فِي كَبَدٍ، نَقُولُ مَثَلاً: يَعِيشُ السَّمَكُ فِي المَاءِ. أَيْ: مَغْمُورٌ فِي المَاءِ مِنْ رَأْسِهِ إِلَى أَخْمُصِ قَدَمَيْهِ، وَأَنْتَ -كَذَلِكَ- مَغْمُورٌ فِي الشَّقَاءِ وَالْمُعَانَاةِ، فلا مَفَرَّ مِنَ الانْغِمَاسِ فِيهِمَا، وَكَبَد فِي الآيَةِ مَعْنَاهَا: يَشْقَى وَيُعَانِي وَيُكَابِدُ مَصَائِبَ الدُّنْيَا وَشَدَائِدَ الآخِرَةِ، قَدْ فِي الآيَةِ: حَرْفُ تَحْقِيقٍ؛ لِتَحَقُّقِ وُقُوعِ المَصَائِبِ وَالشَّدَائِدِ، وَهَذَا دَلِيلٌ ثَانٍ مِنَ القُرْآنِ؛ يُؤَكِّدُ لَكَ وُقُوعَ الابْتِلاءِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ [الإنسان٢] انْظُرْ إِلَى قَوْلِ رَبِّكَ ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ أَيْ: نَخْتَبِرُهُ وَنَمْتَحِنُهُ، فَهَذَا أَمْرٌ وَاقِعٌ لاَ مَحَالَةَ، فَقَدْ يَنْعَمُ الإِنْسَانُ وَيَسْعَدُ، وَلَكِنَّ النَّعِيمَ وَالسَّعَادَةَ

شَيْئَان طَارِئَان غَيْرُ دَائِمَيْن، يَسْعَدُ الإِنْسَانُ بِأَوْلاده، ثُمَّ يُفَارِقُهُم أَوْ يُفَارِقُونَهُ قَبْلَهُ، وَيَنْعَمُ الإِنْسَانُ بِمَالِه الكَثِيرِ ثُمَّ يَتْرُكُهُ لِمَنْ يَرِثُهُ أَوْ يُضَيِّعُهُ، وَيَفْرَحُ الإِنْسَانُ بِمَنْصِبه الكَبِيرِ، ثُمَّ يُفَارِقُهُ إِلَى لِقَاءِ مَوْلاهُ، وَرُبَّمَا يَكُونُ هَذَا المَنْصِبُ سَبَبًا فِي دُخُولِه النَّارَ..عَجِيبٌ أَمْرُ هَذَا الإِنْسَانِ؛ فَكَمْ يَفْرَحُ الإِنْسَانُ–كَثِيرًا–بِأَشْيَاءَ؛ رُبَّمَا تَهْوِي بِهِ إِلَى الهَاوِيَةِ!! وَالعِيَاذُ بِاللهِ.

إِذًا..السَّعَادَةُ وَالنَّعِيمُ غَيْرُ مُؤَصَّلَيْنِ فِيهَا،وَللهِ دَرُّه القَائِلُ:

اصْبِرْ لِكُلِّ مُصِيبَةٍ وَتَجَلَّدِ ... وَاعْلَمْ بِأَنَّ المَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدِ
اصْبِرْ كَمَا صَبَرَ الكِرَامُ فَإِنَّهَا ... نُوَبٌ تَنُوبُ اليَوْمَ تُكْشَفُ فِي غَدِ
وَإِذَا أَتَتْكَ مُصِيبَةٌ يُرْثَى لَهَا ... فَاذْكُرْ مُصَابَكَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدِ

فَالنَّعِيمُ الحَقِيقِيُّ وَالأَبَدِيُّ هُوَ نَعِيمُ الجَنَّةِ الخَالِدُ العَظِيمُ، الَّذِي أَعَدَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ ﷻ لِعِبَادِه المُؤْمِنِينَ المُتَّقِينَ الصَّابِرِينَ الحَامِدِينَ رَبَّهُم وَالشَّاكِرِينَ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار١٣-١٤] شَتَّانَ شَتَّانَ بَيْنَ

الأبْرَارِ وَالفُجَّارِ، بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَبَيْنَ النَّعيمِ وَالجَحيمِ؛ قال رسول الله ﷺ(1): «أتَاني جبْريـلُ فقَـالَ: يَـا مُحَمَّـد ! عِـشْ مَـا شِئْتَ فإنَّكَ مَيِّتٌ، وَ أَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فإنَّكَ مُفارِقُهُ، وَ اعْمَلْ مَـا شِئْتَ فإنَّكَ مَجْزِيٌّ بهِ، وَ اعلَمْ أنَّ شَرَفَ المُؤْمنِ قِيَامُـهُ بالليْـلِ، وَ عِزَّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ »..

إذًا..النَّعيمُ في الجَنَّة، وَأَنْتَ في الدُّنْيَا تَشْقَى، وَإلَيْكَ دَليلاً قُرْآنيًّا آخَرَ عَلَى ذَلكَ، قَالَ اللهُ ﷻ نَاصِحًا آبَائَـا آدَمَ ﷺ وَإِلَهَا لَكَرَامَةٌ؛ أَنْ يَتَحَدَّثَ اللهُ إلَى أَبِينَا آدَمَ: ﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ [طه١١٧]

وَلذَلكَ قَالَ اللهُ ﷻ في آيَةٍ أُخْـرَى: ﴿ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ [البقرة٣٥] فَلَفْظَةُ (اسْكُنْ) تُوْحِي بأنَّهُ سَيَخْرُجُ يَوْمًا مَا؛ لأَنَّ الَّذي يَسْكُنُ مَكَانًا لابُدَّ وَأَنْ يَتَحَوَّلَ عَنْهُ، وَهُوَ -فِـي

(1) (صحيح): صحيح الجامع ٧٣.

الغَالب-لا يَمْلكُهُ، وَدُخُولُ آدَمَ وَحَوَّاء الجَنَّةَ كَانَ دُخُـولَ سُكْنَى لا دُخُولَ إقَامَة،كَمَا قَالَ الإمَامُ القُرْطُبي في تَفْسيرِه؛ لذَلك وَصَفَ اللهُ ﷻ نَعيمَ الجَنَّةَ بأنَّهُ نَعيمٌ مُقـيمٌ: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة ٢١] أي: إقَامَةٌ خَالدَةٌ (خُلُودٌ بلا مَوْت) وَكَذَلكَ العَذَابُ عَذَابٌ مُقيمٌ ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة ٦٨]. أيْ:(خُلُودٌ بلا مَوْت) قَـالَ اللهُ ﷻ فـي شَـأنِهم: ﴿إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ [الزخرف٧٧] وَلَمْ يَقُلْ:(إنَّكُم سَـاكنُون) إذًا..مِـنْ خلال فَهْمنَا للآيَة الكَريمَة الأُولَى ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه١١٧].

نَجدُ أنَّ النَّعيمَ في الجَنَّة، أمَّا خَارجَهَا فَهُوَ الشَّـقَاءُ بعَيْنـه، وَلَفْظَةُ الإشَارَة (هَذَا) عَائدَةٌ عَلَى الشَّيْطَان؛ فَاحْـذَرْهُ، إنَّـهُ

عدُوُّكَ، هَكَذا حَذَّرَكَ اللهُ منهُ؛ فَلاَ تَجْعَلْ لهُ عَلَيْكَ سَبيلاً..

نَلْحَظُ شَيْئًا عَجيبًا آخرَ في الآيَة، حَيْثُ قَالَ مَوْلانا ﷻ: (فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا) بألِفِ الاثْنَيْنِ، فَالخُرُوجُ كَانَ للاثْنَيْنِ مَعًا (آدم وحواء)، وَقَالَ بَعْدَهَا (فَتَشْقَى) بضَميرِ المُفْرَدِ المُخاطَبِ؛ قاصدًا-بالشَّقَاء- الرَّجُلَ، فَالرَّجُلُ هُوَ الَّذي يَسْعَى وَيَعْمَلُ منْ أَجْلِ تَوْفيرِ رِزْقِه وَرِزْقِ أَوْلادِه، أَمَّا الزَّوْجَةُ فَمَكَانُهَا الطَّبيعيُّ هُوَ البَيْتُ؛ لإخْرَاجِ أُسْرَةٍ مُؤْمنَة مُوَحِّدَة. وَاعْلَمْ أَنَّ دُخُولَ الجَنَّة عَنْ تَكْرِيمٍ منْهُ الخُرُوجُ! فَقَدْ دَخَلَ أَبُونَا آدَمُ وَأُمُّنا حَوَّاءُ الجَنَّةَ مُكَرَّمَيْنِ، وَأَمَّا دُخُولُ الجَنَّة عَنْ تَكْليف فَلا خُرُوجَ بَعْدَهُ، فَأَبْشرْ أَيُّهَا الموَحِّدُ، وَسَلْ رَبَّكَ الجَنَّةَ وَمَا يُقَرِّبُ إلَيْهَا منْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ

مَجْذُوذٍ ﴾ [هود١٠٦-١٠٨]

إذًا...لابُدَّ مِنْ حُدُوثِ فَوَارِقَ بَيْنَ النَّاسِ؛ حَتَّى يَمِيزَ اللهُ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ، وَلِيُمَحِّصَ المُؤْمِنَ الصَّابِرَ مِنَ المُعَانِدِ الكَافِرِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ﴾ [المائدة٤٨] فَهَذَا غَنِيٌّ وَهَذَا فَقِيرٌ، وَهَذَا صَحِيحٌ وَهَذَا مَرِيضٌ، وَكِلاَهُمَا مُبْتَلًى،قَالَ اللهُ ﷻ : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء٣٥] وَهَذَا مُبْتَلًى فِي رِزْقِهِ؛ وَالابْتلاَءُ فِي الرِّزْقِ ابْتلاَءٌ قَوِيٌّ عَلَى بَعْضِ النُّفُوسِ البَشَرِيَّةِ، فَالنَّاسُ تَجْزَعُ وَتَفْزَعُ كَثِيرًا إِذَا أَصَابَهَا فَقْرٌ، وَيَغِيبُ عَنْ أَذْهَانِهَا أَنَّ فَقِيرَ اليَوْمِ هُوَ غَنِيُّ الغَدِ؛ وَغَنِيَّ الغَدِ هُوَ فَقِيرُ الأَمْسِ، وَأَنَّ المَالَ مُتَدَاوَلٌ بَيْنَ أَيْدِيهِم، وَأَنَّنَا سَنَتْرُكُهُ كُلَّهُ ثُمَّ نُحَاسَبُ عَلَيْهِ فِي الآخِرَةِ، مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبْنَاهُ وَفِيمَ أَنْفَقْنَاهُ؟! وَهَذَا مُبْتَلًى فِي زَوْجَةٍ غَيْرِ مُطِيعَةٍ، وَآخَرُ مُبْتَلًى فِي ابْنٍ عَاقٍّ

أَوْ مُعَاقٍ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَبْتَلِي الإِنْسَانَ فِي أَغْلَى مَا يَمْلِكُهُ الإِنْسَانُ فِي مَالِهِ وَنَفْسِهِ وَثَمَرِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة١٥٥-١٥٧].

يَا أَيُّهَا الْمُبْتَلَى أَبْشِرْ بِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ اللهُ يُصَلِّي عَلَيْكَ، أَيْ: يَغْفِرُ لَكَ وَيَرْحَمُكَ، رَحْمَةً بَعْدَ رَحْمَةٍ وَيُخْبِرُنَا أَنَّكَ مِنَ الْمُهْتَدِينَ، أَيْ: مِنْ أَصْحَابِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ فَهَذَا هُوَ طَرِيقُ الأَنْبِيَاءِ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَرُبَّمَا تَكُونُ مِنْ هَذَا النَّفَرِ الْقَلِيلِ؛ لِذَا قَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه فِي تَفْسِيرِ(١): (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ

(١) (راجع تفسير ابن كثير_الجزء الأول_سورة البقرة.

مِنْ رَبِّهِم وَرَحْمَةٌ) نِعْمَ العدْلان وَنِعْمَتْ العلاوَةُ؛ (فَالعِـدْلان الصَّلَوَاتُ وَالرَّحْمَةُ) وَذِكْرُ الرَّحْمَةِ بَعْدَ الصَّلَوَات أَفَادَ الثَّنَاءَ عَلَيْهِمْ، والعلاوَةُ هدَايَةُ الله لَهُ (وَأُولَئِكَ هُمُ المهْتَـدُونَ) أي: فَقَدْ حَصَلُوا عَلَى ثَوَابِهِمْ وَزَادَهُمُ اللهُ عَلَيْهِ).

وَيُبَشِّرُكَ رَسُولُ الله ﷺ يَا مَنْ فَقَدْتَ وَلَدَكَ أَوْ فَقَـدْتَ عَزِيزًا لَدَيْكَ فَصَبَرْتَ، وَاحْتَسَبْتَهُ عِنْدَ الله فَأَبْشِرْ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى ﷻ[1]: «مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلا الْجَنَّـةُ».. وَهَذَا حَدِيثٌ آخَرُ مِنْ حَبِيبِ قَلْبِكَ[2]: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللَّهُ لِمَلائِكَتِه: قَبَضْـتُمْ وَلَدَ عَبْدِي، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ»..

وَلَمَّا مَاتَ العَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ المطَّلِب ﷺ وَجَاءَ النَّاسُ؛ لِتَعْزِيَة

(١) (صحيح): البخاري ٦٤٢٤، أحمد ٩١٢٧.

(٢) (صحيح): ، أحمد ١٩٢٢٦، الترمذي ١٠٢١، صحيح الجامع ٧٩٥.

عَبْد الله بْنِ العَبَّاسِ ﷺ، قَالَ أَعْرَابِيٌّ مُوَاسيًا عَبْدَالله ﷺ :

اصْبِرْ نَكُنْ بِكَ صَابِرِينَ فَإِنَّمَا صَبْرُ الرَّعِيَّةِ عِنْدَ صَبْرِ الرَّأْسِ
خَيْرٌ مِنَ العَبَّاسِ صَبْرُكَ بَعْدَهُ وَاللهُ خَيْرٌ مِنْكَ لِلعَبَّاسِ

فَقَالَ ابنُ العَبَّاسِ ﷺ: لَمْ أَرَ أَحْسَنَ مِنْهُ عَزَاءً قَط، فَالْمُصَابُ مَنْ حُرِمَ الثَّوَابَ مِنْ رَبِّ الأَرْبَابِ، وَلَيْسَ الْمُصَابُ مَنْ فَقَدَ الأَحْبَابَ!! وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ ﷻ يَبْتَلِي الإِنْسَانَ؛ لِيُهَذِّبَهُ لا لِيُعَذِّبَهُ،نَعَمْ...فَرُبَّ رَجُلٍ مِنَّا كَانَ مُتَكَبِّرًا بِمَالِه أَوْ بِسُلْطَانِه أَوْ بِأَبْنَائِه، فَيَبْتَلِيه رَبُّهُ بِمَرَضٍ عُضَالٍ شَدِيدٍ؛ حَتَّى يُهَذِّبَهُ؛ لِيَرْجِعَ وَيَعُودَ إِلَى رُشْدِه مِنْ جَدِيدٍ إِلَى طَرِيقِ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ؛ لِيَعْلَمَ أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً، فَالكِبْرِيَاءُ لَهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، قَالَ اللهُ-تَعَالَى-فِي شَأْنِ أَعْظَمِ مُتَكَبِّرِي الأَرْضِ وَالَّذِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهُم فِي البِلادِ وَهُمْ قَوْمُ عَادٍ: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت١٥]

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ: مَا نَزَلَ بَلاءٌ إلا بذَنْبٍ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠] وَمَا رُفِعَ إلا بتَوْبَةٍ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١]

وَلَكِنْ إذَا نَزَلَ البَلاءُ؛ لسَبَبٍ أَوْ لآخَرَ، فَكَيْفَ يُوَاجِهُهُ المُؤْمِنُ البَلاءَ إذَا نَزَلَ؟! نَسْأَلُ اللهَ المُعَافَاةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَهَذَا هُوَ مَوْضُوعُ عُنْصُرِنَا التَّالِي..

كَيْفَ يُوَاجِهُ المُؤْمِنُ الابْتِلاءَ؟!

إذَا أصَابَكَ مَكْرُوهٌ-أخي الحَبيبَ-فَاصْبِرْ وَاحْتَسِبْ، وَاثْبُتْ عَلَى الإيْمَان، وَاعْتَصِمْ بالله الوَاحِد الدَّيَّان وَاهْتَد بِهَدْي نَبِيِّكَ سَيِّد الأنَام ﷺ فَلَنْ تَجِدَ أعْظَمَ مِنْهُ قُدْوَةً ﷺ...

فَيَا مَنْ تَصْبِرُ عَلَى قَضَاء الله أبْشِرْ، وَيَا مَنْ يَسْخَطُ عَلَى قَضَاء الله أقْصِرْ، فَلاَ تَغْضَبْ وَلاَ تَسْخَطْ؛ وَإنَّمَا اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ؛ فَالغَضَبُ لَهُ عَوَاقِبُهُ السَّيِّئَةُ عَلَى الإنْسَان، فَهُوَ يَجْعَلُ الإنْسَانَ ثَائِرًا، لاَ يُفَكِّرُ بِهُدُوء، وَلاَ يَعْقِلُ الأمُورَ، لِذَلِكَ فَقَدْ أوْصَى رَسُولُ الله ﷺ-في وَصِيَّة مِنْ أعْظَم وَصَايَاهُ-أحَدَ صَحَابَتِه ﷺ بِقَوْلِه[1]: لاَ تَغْضَبْ، لاَ تَغْضَبْ، لاَ تَغْضَبْ، ذَلِكَ لأنَّ رِضَاكَ أوْ غَضَبَكَ لَنْ يُؤَخِّرَ أوْ يُقَدِّمَ مِنْ قَدَر الله شَيْئًا؛ وَالسَّبَبُ بِكُلِّ يُسْر وَسُهُولَة أنَّ الله كَتَبَ مَقَاديرَ الخَلاَئِقِ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاوَات وَالأرْضِ بخمسين ألف

---

(١) (صحيح): مسلم ٢٦٥٣، الترمذي ٢١٥٦، أحمد ٦٥٤٣.

سَنَة، كَمَا فِي الحَدِيث[1] عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: "كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ" وَصَدَقَ رَبُّنَا ﷻ إِذْ يَقُولُ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب٣٨] وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً﴾ [الأنفال٤٢] أَيْ: مِنْ رِزْقٍ وَأَجَلٍ وَمَرَضٍ وَصِحَّةٍ وَقَضَاءٍ وَقَدَرٍ،فَالصَّبْرُ عَلَى قَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ مِنْ حُسْنِ الإِيمَانِ بَلْ هُوَ رُكْنٌ رَكِينٌ مِنْ أَرْكَانِ الإِيمَانِ، فَهَذِهِ أُمُورٌ كَتَبَهَا اللهُ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ قَبْلَ أَنْ تُولَدَ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لا شَكْوَى إلا لله، أَتَشْكُو مَنْ إِلَى مَنْ ؟! تَشْكُو اللهَ وَقَضَاءَهُ وَقَدَرَهُ الَّذِي نَزَلَ بِكَ إِلَى العِبَادِ، إِنَّ الَّذِي أَنْزَلَهُ هُوَ الَّذِي يَرْفَعُهُ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟! تَشْكُو مَنْ يَرْحَمُكَ إِلَى مَنْ لا يَرْحَمُكَ، تَشْكُو اللهَ ﷻ إِلَى عَبْدٍ فَقِيرٍ مِثْلِكَ، لا يَمْلِكُ أَنْ يَدْفَعَ عَنْكَ ضُرًّا وَلا أَنْ يَجْلِبَ لَكَ نَفْعًا.

(١) (صحيح): البخاري٦١١٦،الترمذي٢٠٢٠،أحمد٢٧٣١١.

وَفِي ذَلِكَ قِيلَ:

وإذَا شَكَوْتَ إلى ابْنِ آدَمَ إنَّمَا تَشْكُو الرَّحِيمَ إلى مَنْ لا يَرْحَمُ

وَاللهِ حَتَّى النَّبِيّ ﷺ صَاحِب المقَامِ العَظِيم عِنْـدَ اللهِ العَلِـيمِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا﴾ [الجن٢١] وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ [الأعراف١٨٨]

فَالأمْرُ لَيْسَ لِوَلِيٍّ وَلاَ لِنَبِيٍّ؛ إنَّمَا الأَمْرُ كُلُّهُ لله الـرَّبِّ العَلِيِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأَنَّ هَذَا الأَمْرَ مِنْ اخْتِصَاصِ المَـوْلَى جَلَّ وَعَلا– قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ﴾ [الأنعام١٧]

إذَنْ النَّافِعُ الضَّارُّ هُوَ اللهُ ﷻ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا﴾ [الفرقان٣] وَقَدْ أَكَّـدَ المَعْصُـومُ ﷺ هَـذَا

المفهومَ، فَاستَمِعْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يقول: لابْنِ عَبَّـاسٍ رضي الله عنهما، وَهُوَ غُلامٌ صَغيرٌ؛ لِيُرَبِّيَهُ عَلَى الإِيمَـانِ وَالتُّقَـى وَالعَقِيـدَةِ الصَّحِيحَةِ، وَمَا أَعْظَمَ حَاجَتَنَا اليَوْمَ إِلَيْهَا! فَنَشأَ هَذَا الغُـلامُ نَشْأَةً عَظِيمَةً؛ حَتَّى صَارَ حَبْرَ الأُمَّةِ رضي الله عنه، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ أَكَّدَ هَذَا المَعْنَى، وَأَرْسَى هَذَا المَبْدَأَ العَظِيمَ، فَقَالَ[1]: «...وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّـهُ لَـكَ، وَلَـوْ اجْتَمَعُوا عَلَـى أَنْ يَضُـرُّوكَ بِشَـيْءٍ لَـمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الأَقْلامُ، وَجَفَّتْ الصُّحُفُ» بَلْ كَانَ مِـنْ دُعَائِـهِ ﷺ[2]«...اللَّـهُمَّ لاَ مَـانِعَ لِمَـا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَـا مَنَعْـتَ...» فَاللهُ ﷻ هُوَ الَّذِي يُعْطِـي وَيَمْنَعُ، وَهُوَ الَّذِي يَضُرُّ وَيَنْفَعُ، هَذِهِ الأُمُـورُ كُلُّهَـا مِـنْ اخْتِصَاصِ مَوْلانَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَوَاللهِ لَوْ صَحَّتْ عَقِيـدَةُ النَّاسِ لَعَاشَ النَّاسُ فِي أَمْنٍ وَاطْمِئْنَانٍ وَإِيمَانٍ، وَلَـيَكُنْ مَـا

---

(١) (صحيح): أحمد ٢٤٤٤، الترمذي ٢٥١٦، صحيح الجامع ٧٩٥٧

(٢) (صحيح): أحمد ١٦٣٩٧، صحيح الأدب المفرد ٢٣٢/١.

يَكُونُ بَعْدَ ذَلكَ، فَلَنْ يُقَدِّرَ اللهُ إلا الخَيْرَ، حينَئذ يَقُولُ المؤْمنُ في ثَبَات عنْدَ نُزُول البَلاء: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ..

لأنَّكَ لاَ تَمْلكُ منْ نَفْسكَ شَيْئًا، وَلاَ تَمْلكُ لنَفْسكَ شَيْئًا، فَاللهُ ﷻ هُوَ الَّذي يَمْلكُكَ وَيَمْلكُ مَنْ يَمْلكُكَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام١٢]

مَنْ أَنْتَ مِنْ هَؤُلَاءِ وَقْتَ نُزُولِ البَلَاءِ؟!

اعْلَمْ أَنَّكَ-أَمَامَ المصيبَة-وَاحِدٌ مِنْ أَرْبَعَة نَفَرٍ: إِمَّا أَنْ تَكُونَ جَزِعًا، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ صَابِرًا، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ رَاضِيًا، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ شَاكِرًا..

فَأَمَّا الجَزِعُ فَهُوَ أَشَرُّهُمْ عَلَى الإِطْلاقِ، وَأَبْغَضُهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَأَعْظَمُهُمْ خَسَارَةً فِي الدّنيَا وَالآخرَة؛ فَهُوَ سَاخطٌ نَاقمٌ عَلَى قَدَرِ اللهِ وَقَضَائه، تَقُولُ: جَزِعَ فُلانٌ، أَي: لَمْ يَصْبِرْ عَلَى مَا نَزَلَ به، وَلَمْ يَنقَطِعْ لسَانُهُ عَنِ الشَّكْوَى، قَالَ ابنُ القَيِّم-رَحِمَهُ اللهُ-:الجَاهلُ يَشْكُو اللهَ إِلَى النَّاسِ، وَهَذَا غَايَةُ الجَهْلِ بالمَشْكُو وَالمَشْكُو إِلَيْه، فَإِنَّهُ لَوْ عَرفَ رَبَّهُ لَمَا شَكَاهُ، وَلَوْ عَرفَ النَّاسَ لَمَا شَكَا إِلَيْهِم؛ يَلْطُمُ الخُدُودَ، وَيَفْعَلُ أَفْعَالَ الجَاهليَّة، وَيَغْضَبُ بشدَّة؛ وَغَضَبُهُ لَنْ يُفيدَهُ أَبَدًا؛ بَلْ إِنَّ غَضَبَهُ سَبَبُ هَلاكه، أَلاَ يَعْلَمُ هَذَا الجَازِعُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ-سَيِّدَ الأَوْلِيَاء-نَهَى الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ عَلَى السَّوَاءِ عَنْ ذَلكَ؟!

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (1):«لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُود، وشَقَّ الْجُيُوبَ، ودَعَا بدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ».

وَأَمَّا الصَّابِرُ فَهُوَ بِصَبْرِهِ يَصِلُ إِلَى مَرْتَبَةٍ كَرِيمَةٍ، وَيُوَفَّى أَجْرَهُ-مِنَ اللهِ-بِغَيْرِ حِسَابٍ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر١٠] فَاصْبِرْ وَاحْتَسِبْ؛ فَثَوَابُ الصَّبْرِ أَعْظَمُ مِنْ الصَّبْرِ، وَلَوْ وَقَرَ هَذَا المفْهُومُ فِي قَلْبِ الصَّابِرِ لَتَمَنَّى أَنْ تَكُونَ حَيَاتُهُ كُلُّهَا ابْتِلاَءً، فَالجَنَّةُ دَرَجَاتٌ وَغُرَفٌ؛ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء٢١] فَمَهْمَا صَبَرْتَ فَإِنِّي سَائِلُكَ سُؤَالاً: هَلْ هَذَا الصَّبْرُ مَهْمَا عَظُمَ يُسَاوِي الخُلُودَ فِي الجَنَّةِ وَالنَّظَرَ إِلَى وَجْهِ اللهِ الكَرِيمِ ﷻ؟!.

وَأَمَّا الرَّاضِي فَهُوَ صَاحِبُ مَرْتَبَةٍ أَعْلَى مِنْ سَابِقَيْهِ، فَقَدْ صَبَرَ وَرَضِيَ بِقَضَاءِ اللهِ، وَطَابَتْ نَفْسُهُ بِمَا حَلَّ بِهِ مِنْ قَدَرِ

---

(1) (صحيح): البخاري ١٢٩٨، مسلم ١٠٣، الترمذي٩٩٩، النسائي ١٨٦٠، ابن ماجة ١٥٨٤، أحمد١٣٨٦

وَقَضَاء مِنْ رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَاء.

انْظُرْ إِلَى سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ﷺ أَحَد صَالحي زَمَانه، يَأْتيه رَجُلٌ؛ يَسْأَلُهُ قَائلاً لَهُ: يَا إِمَام أُرِيدُ أَنْ يَرْضَى اللهُ عَنِّي، فَمَاذَا أَفْعَلُ؟! فَقَالَ سُفْيَانُ: إِنْ تَرْضَ عَنِ الله يَـرْضَ اللهُ عَنْـكَ، كَلمَاتٌ يَسيرَةٌ لَكنَّهَا تَحْتَاجُ إِلَى بَيَان، فَقَالَ له: كَيْفَ ذَلكَ؟! فَقَالَ سُفْيَانُ رَحمَهُ اللهُ: عنْدَمَا تُسَرُّ للنِّقْمَة كَسُرُورِكَ للنِّعْمَة، فَإِنَّهُمَا قَدَرَان مُقَدَّرَان منَ الله عَلَيْكَ..

أَخِي الحَبِيبَ..سَلْ نَفْسَكَ الآنَ: مَنْ منَّا يُسَـرُّ للنِّعْمَـة كَسُرُورِه للنِّقْمَة؟! أَيْ: تَفْـرَحُ بالمصـيبَة مثْـلَ فَرَحـكَ بالبشَارَة، وَالفَرَحُ هُنَا بمَعْنَى الرِّضَا؛ فَكلاهُمَا قَدَرٌ مَكْتُوبٌ عَلَيْكَ، قَالَ ابنُ مَسْعُود في قَوْله تَعَـالَى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة:١١٩] لَيْسَ العَجَبُ مِـنْ قَوْله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ وَإِنَّمَا العَجَبُ منْ قَوْله: ﴿ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ فَالفَوْزُ العَظيمُ لَنْ يَأْتِيَ إِلاَّ بالرِّضَـا؛

فَمَنْ يَرْضَ بِقَدَرِ اللهِ وَقَضَائه يَرْضَ اللهُ عَنْهُ، وَمَنْ يَغْضَبْ فَلَنْ يَنَالَ رِضَاهُ، وَلاَ يَقَعُ إلاَّ مَا أَرَادَهُ اللهُ، فَقَدَرُ اللهِ وَقَضَائه يَمرُّ بعدَّة مَرَاحِلَ قَبْلَ نُزُوله: العلْمِ؛ فَعَلمَ اللهُ أنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِعَبْده فُلاَن فَاخْتَارَهُ لَهُ بحكْمَته ورَحْمَته، ثُمَّ يَكْتُبُهُ وَيَقْضِي به عَلَيْه؛ فَقَدَرُ اللهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ بَعْدُ، فَإِذَا نَزَلَ وَحَلَّ بالعَبْد يُسَمَّى قَضَاءً، وَعَلَى العَبْد أَنْ يُقَابلَهُ برِضًا؛ لأَنَّ تَمَرُّدَهُ لَنْ يُغَيِّرَ منهُ شَيْئًا..

وَأَمَّا الشَّاكرُ فَهُوَ أَعْظَمُهُم جَميعًا؛ فَقَدْ جَمَعَ بَيْنَ الأَمْرَيْن السَّابقَيْن وَزَادَهُمْ أَمْرًا ثَالثًا، صَبَرَ عَلَى البَلاء، وَرَضيَ وَاطْمَأَنَّ قَلْبُهُ لَهُ، وَشَكَرَ عَلَي نُزُوله به، وَلَقَدْ اخْتَصَّ اللهُ نَفْسَهُ أَنْ يَجْزِيَهُ عَلَى شكْره، فَقَالَ في آيَة كَريمَة-وَهَذه الآيَةُ نَزَلَتْ مُخْبرَةً أَنَّ رَسُولَ اللهِ بَشَرٌ، وَكُلُّ نَفْسٍ بَشَريَّة لاَبُدَّ وَأَنْ تَمُوتَ-قَالَ اللهُ لرَسُولهﷺ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء٣٤] وَمَوْتُ النَّبيِّﷺ

أعْظَمُ مُصيبَة ابْتُليَتْ بهَا الأُمَّةُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(١): «إذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي؛ فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ». نَعَمْ. فَإِنَّكَ لَنْ تُصَابَ أَبَدًا بِفَقْد أَعَزّ منْهُ وَلاَ أَرْحَمَ وَلاَ أَفْضَلَ منْهُ، فَالأَمْرُ شَديدٌ؛ يَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ عَلَى مَوْتِه وَرِضًا على قَضَاء الله فيه، وَشُكْرٍ عَلَى إِرْسَال هَذَا النَّبِيِّ للأُمَّة، فَمَا فَعَلَ خَيْرًا إلاَّ وَدَلَّكَ عَلَيْه قَبْلَ مَوْته، وَمَا تَرَكَ شَرًّا قَط إلاَّ وَحَذَّرَكَ منْهُ، وَتَرَكَكَ عَلَى المَحَجَّة البَيْضَاء؛ وَهَدَاكَ إِلَى الطَّرِيقِ المسْتَقِيمِ؛ طَرِيقِ رَبِّ العَالَمِينَ، فَأَتَمَّ اللهُ به الدِّينَ، وَأَكْمَلَ به النِّعْمَةَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران١٤٤] وَقَالَ أيْضًا في الآيَة الَّتي تَليهَا: ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران١٤٥] وَهَذَا الصِّنْفُ منَ البَشَرِ (الشَّاكر) قَليلٌ جدًّا كَمَا

(١) (صحيح): الدارمي ٨٤، صحيح الجامع ٣٤٧.

أخبرنا مولانا: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ١٣]

عندما مات عليُّ بنُ الفُضيل بن عياض(١)، وكان علـيٌّ يُصلّي بالنّاس فقرأ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات٢٤] فخرَّ مغشيًّا عليه فمات، بلغ الخبرُ أباهُ الفُضيلَ فصبرَ واسترجعَ، ثُمَّ غسَّلهُ وكفَّنهُ وصلّى عليه ودفنهُ ثُمَّ انصـرفَ، وأثنـاءَ انصرافه تبسَّمَ، فتعجَّبَ أحدُ النّاس فقال لـهُ أتضـحكُ؟! قال: نعمْ شُكرًا لربِّي، إنّهُ الإيمانُ بالقضاء والقدر والصّـبرُ والرِّضا والشُّكرُ في عزِّ المصيبة، فللّه ما أخذ ولله ما أعطى وكُلُّ شيْءٍ عندهُ بمقدارٍ، ولكنَّ خيرَ الهدْي هدْيُ مُحمّدٍ ﷺ، فرسُولُ الله ﷺ حزِنَ عندَ موْت ولده، ورسُولُ الله قُـدْوتُنا، ومقامُهُ أعْلَى مقامات العُبُوديّة والتّعبُّد، وهذا الأمْرُ شُـعُورٌ وإحساسٌ داخليٌّ قويٌّ لا يستطيعُ –غالبًا– أنْ يتحكّمَ فيـه أحدُنا، لكن الّذي نستطيعُ أنْ نتحكّمَ فيه ألاّ نفعلَ أفعالاً لاَ

(١) هذه القصة ذكرها ابن كثير –رحمه الله– في (البداية والنهاية)، وابن تيمية –رحمـه الله– في كتابه (أولياء الرحمن...)

تَليقُ وإيمانَنا، ولاَ تنسَجمُ وهَدْيَ نَبيِّنا مُحمَّدﷺ، وهَذا القَوْلُ خُلاصَةُ الأمْرِ كُلِّه، فَاصْبِرْ واحْتَسِبْ؛ فَقَدَرُ الله يَنزلُ بحكْمَة دُونَ أنْ يَعْلَمَ العبَادُ تلْكَ الحكْمَةَ، لذَا عنْدَمَا ضَحكَ أحَدُ الزُّهَاد العُبَّاد عنْدَ وَفَاة عَزيز لَدَيْه، فَتَعَجَّبَ النَّاسُ، وذَهَبُوا إلَى ابن تَيْمِيَةَ، وقَالُوا لَهُ: كَيْفَ يَضْحَكُ هَذَا الرَّجُلُ وَالضحكُ عَلاَمَةُ الفَرَحِ؟! وَكَيْفَ يَبْكي رَسُولُ اللهﷺ وَالبُكَاءُ عَلاَمَةُ الحُزْن؟! فَقَالَ ابنُ تَيْمية: فعْلُ نَبيِّناﷺ أكْمَلُ وَأفْضَلُ؛ فَللَّه في كُلِّ شَيْء عُبُوديَّة، وَعُبُوديَّةُ الله وَقْتَ المصيبَة أنْ يُظْهرَ النَّاسُ لَهُ الخُشُوعَ وَالخُضُوعَ وَالاسْتكَانَةَ لقَضَائه، ثُمَّ استَدَلَّ بقَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾

[الأنعام ٤٢-٤٣]

أَخِي الحَبِيبَ....اصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً

اعْلَمْ –أَخِي الكَرِيْمَ– أَنَّ اللهَ لَمْ يُعْطِ الإِنْسَانَ عَطَاءً عَظِيمًا وَلاَ خَيْرًا أَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّ نَاسًا مِنْ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ[1]: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ».

فَادْعُ اللهَ أَنْ يُلْهِمَكَ الصَّبْرَ الجَمِيلَ، فَالصَّبْرُ الجَمِيلُ هُوَ الصَّبْرُ الَّذِي لا شَكْوَى فِيهِ إِلاَّ لِلَّهِ، أَمَّا الهَجْرُ الجَمِيلُ هُوَ أَلاَّ تُعَاتِبَ مَنْ تَهْجُرُهُ، وَأَمَّا الصَّفْحُ الجَمِيلُ هُوَ أَلاَّ تُؤْذِيَ مَنْ آذَاكَ، أَيْ: تَصْفَحُ عَنْهُ وَلا تَمَسّهُ بِسُوءٍ، فَمَنْ مِنَّا يَتَمَثَّلُ هَذَا الخُلُقَ الجَمِيلَ العَظِيمَ؟.

---

(١) (صحيح): البخارى ١٤٦٩، مسلم ١٠٥٣، أبو داود ١٦٤٤، الترمذى ٢٠٢٤، أحمد ١٠٦٠٦.

فَهَذِه الآيَاتُ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا آنفًا، وَإِنْ كَانَتْ نَزَلَتْ فِي شَأنِ النَّبيِّ الكَرِيْمِ ﷺ إلا أَنَّهَا وَصَايَا بَالِغَاتٌ خَالِدَاتٌ مِنَ اللهِ إلَيْكَ أيُّهَا المُوَحِّدُ المُبْتَلَى، فَأَنْتَ مُخْتَصٌّ بِهَا أَيْضًا.

وَكَانَ مِنْ قَوْلِ النَّبيِّ ﷺ لأَصْحَابِهِ ﷺ(1): «اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ».

وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ ﷻ يَبْتَلِيكَ مِنْ أَجْلِ شَيْئَيْنِ لا ثَالِثَ لَهُمَا؛ إمَّا لِتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ وَمَحْوِهَا وَإمَّا لِزِيَادَةِ الحَسَنَاتِ، فَأَكْثِرْ مِنَ الحَسَنَاتِ؛ فَإِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾

[هود١١٤]

وَيَقُولُ حَبِيبُ قَلْبِكَ مُحَمَّدٌ ﷺ؛ حَتَّى يَطْمَئِنَ قَلْبُكَ(2): «عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ

(1) (صحيح): البخاري ٣٧٩٢، مسلم ١٨٤٥، الترمذي ٢١٨٩، أحمد ١٨٦١٣.
(2) (صحيح): مسلم ٢٩٩٩، أحمد ١٨٤٥٥، الدارمي ٢٧٧٧.

لِأحَدٍ إلاَّ للمُؤْمِنِ، إنْ أصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وإنْ أصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فكَانَ خَيْرًا لَهُ»..

فَأنْتَ وَاقِعٌ بَيْنَ صِفَتَيْنِ كَرِيمَتَيْنِ (الصَّبْرِ وَالشُّكْرِ)، فإمَّا أنْ تَكُونَ صَابِرًا عَلَى البَلْوَى، وَإمَّا أنْ تَكُونَ شَاكِرًا عَلَى النِّعْمَةِ، فإنْ أعْطَاكَ اللهُ العَافِيَةَ فَاشْكُرْ، وَإنْ أعْطَاكَ المَرضَ فَاصْبِرْ، فَكِلاهُمَا مِنْ مَوْلاَكَ الَّذِي هُوَ أرْحَمُ بِكَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ أبِيكَ وَأُمِّكَ، فَاللهُ تَعَالَى أرْحَمُ مِنَ الوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا، وَهُوَ أرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

قَالَ ابْنُ مَسْعُود ﷺ:الدِّينُ نِصْفَانِ صَبْرٌ وَشُكْرٌ، وَقَدْ جَمَعَ اللهُ بَيْنَ الصَّبْرِ وَالشُّكْرِ فِي آيَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [إبراهيم٥]

فإذَا أُصِبْتَ بِمُصِيبَةٍ فَاصْبِرْ، فَكُلُّ مُصِيبَةٍ وَلَوْ كَانَتْ يَسِيرَةً تَسْتَوْجِبُ مِنْكَ الاسْتِرْجَاعَ فَقُلْ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ

رَاجعونَ﴾ [البقرة١٥٦] قَالَ النَّبِـــيُّ ﷺ(١): «لا تُصِيبُ أَحَـدًا مِـنَ الْمُسْلِمِينَ مُصِيبَةٌ، فَيَسْتَرْجِعَ عِنْـدَ مُصِيبَتِهِ ثُـمَّ يَقُـولُ: اللَّهُـمَّ أَجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إلا فُعِلَ ذَلِكَ بِهِ».

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ(٢): بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَالَ: اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي، قَالَـتْ: إِلَيْكَ عَنِّي؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ فَأَتَـتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَـتْ: لَـمْ أَعْرِفْـكَ، فَقَالَ ﷺ: إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى".

نَعَمْ-أَيُّهَا الحَبِيبُ-فَإِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى.

امْرَأَةٌ مُؤْمِنَةٌ صَابِرَةٌ شَاكِرَةٌ وَهِيَ أُمُّ سَلَمَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهَـا) تُعَلِّمُنِي وَتُعَلِّمُكَ كَيْفَ نَصْبِرُ؟! وَلاَ عَجَبَ فِي ذَلِكَ؛ فَقَــدْ

---

(١) (صحيح): أحمد ١٥٩٠٩، ابو داود ٣١١٥، الترمذى ٣٥١١، ابن ماجة ١٥٩٨، صحيح الجامع ٥٧٦٨.

(٢) (حسن): البخارى ١٢٣٨، مسلم ٩٢٦، أبو داود ٣١٢٤، الترمذى ٩٨٨، النسائى ١٨٦٩، ابن ماجة ١٥٩٦، أحمد ١١٩٠٨.

ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةً، فَقَالَ: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحريم١١] إنَّهَا أُمِّي وَأُمُّكَ، مَاتَ عَنْهَا زَوْجُهَا أَبُو سَلَمَةَ ﷺ فَقَالَتْ قَوْلاً يَعْجَزُ عَنْ قَوْلِهِ الرِّجَالُ وَقْتَ الشِّدَّةِ، تَرَى الْيَوْمَ الرَّجُلَ إِذَا أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ يَلْطُمُ خَدَّيْهِ-وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلا بِاللهِ-وَيَفْعَلُ فِعْلَ امْرَأَةٍ جَاهِلِيَّةٍ، أَلاَ يَتَعَلَّمُ هَذَا الرَّجُلُ كَيْفِيَّةَ الصَّبْرِ مِنْ أُمِّهِ أُمِّ سَلَمَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنهَا)؟! اسْمَعْ مَاذَا قَالَتْ؟!: (اللَّهُمَّ أَجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا) كَلِمَاتٌ بَسِيطَةٌ إلا أَنَّهَا عَظِيمَةٌ، تَعَلَّمَتْهَا مِنْ حَبِيبِ قَلْبِهَا مُحَمَّدٍ، أَنْصِتْ إِلَيْهَا وَتَعَلَّمْ مِنْهَا وَهِيَ تَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ(1): مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾ [البقرة١٥٦] (اللَّهُمَّ أَجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَاخْلُفْ لِي

---

(1) (صحيح): مسلم ٩١٨، أبو داود ٣١١٩، الترمذي ٩٧٧، النسائي ١٨٢٥، ابن ماجة ١٤٤٧، أحمد ٢٥٩٥٨.

خَيْرًا مِنْهَا) إلاَّ آجَرَهُ اللهُ تَعَالَى فِي مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: أيُّ المسْلمينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ!! أَوَّل بَيْت هَاجَرَ إِلَى رَسُول الله، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا فَأَخلَفَ اللهُ لي خَيْرًا منْهُ رَسُولَ الله. نَعَمْ..أَخْلَفَهَا اللهُ خَيْرًا عَظِيمًا عَلَى صَبْرِهَا وَقَوْلِهَا، انْظُرْ كَيْفَ أَنْزَلَ الله السَّكِينَةَ عَلَى قَلْبِهَا، فَتَزَوَّجَتْ بِمَنْ؟! تَزَوَّجَتْ بِرَسُول الله مُحَمَّد ﷺ؛ حَبِيب الله وَأَكْرَم الأَوَّلِينَ وَالآخرِينَ وَسَيِّد النَّاسِ أجْمَعِينَ، وَأَوَّل شَافع وَأَوَّل مُشَفَّع ﷺ، وَأَوَّل مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ ﷺ، وَرَفَعَ اللهُ شَأْنَهَا مِنْ مُجَرَّد امْرَأَة إِلَى أُمِّ المُؤْمنينَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهَا) فَهِيَ أُمُّكَ قَبْلَ أَنْ تَلِدَكَ أُمُّكَ، فَهِيَ عِنْدِي وَعِنْدَكَ أَغْلَى مِنْ أُمِّنَا الَّتِي أَنْجَبَتْنَا، أَلَمْ يَقُل رَبُّنَا فِي شَأْنِهَا وَشَأْنِ أُمَّهَاتِ المُؤْمنينَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ): ﴿ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ [الأحزاب٦]

وَإِذَا اشْتَدَّ بِكَ الخَطْبُ فَلا تَهْتَزَّ، وَاسْتَمْسِكْ بِالإِيمَانِ، وَاعْتَصِمْ بِالوَاحِد الدَّيَّان، فَيَكُونُ إِيمَانُكَ أَشَدَّ-بِإِذْنِ اللهِ-مِنْ أَيِّ خَطْبٍ، وَلَوْ كَانَ جَلَلاً،وَادْعُ اللهَ ﷻ أَنْ يُثَبِّتَ قَلْبَكَ عَلَى

دِينِه، فَكَمْ مِنْ أُناسٍ ضَلُّوا وَأَفْسَدُوا إِيمَانَهُم بَعْدَ ابْتِلائِهِم!.

هِيَ الدَّارُ مَا الآمَالُ إِلاَّ فَجَائِعُ عَلَيْهَا وَلاَ اللَّذَّاتُ إِلاَّ مَصَائِبُ
فَلاَ تَكْتَحِلْ عَيْنَاكَ فِيهَا بِعَبْـرَةٍ عَلَى ذَاهِبٍ مِنْهَا فَإِنَّكَ ذَاهِبٌ
أَلاَ إِنَّمَا الدُّنْيَا نَضَارَةُ أَيْكَةٍ إِذَا اخْضَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ جَفَّ جَانِبُ

وَيَا حَبَّذَا لَوْ دَعَوْتَ اللهَ، مِثْلَمَا كَانَ يَدْعُو رَسُـولُ اللهِ، حَيْثُ كَانَ ﷺ يُكْثِرُ مِنْ هَذَا الدُّعَاءِ[1]: «يَا مُثَبِّتَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ» فَارْتَعَدَتْ أُمُّ سَلَمَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهَا) وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوَ إِنَّ الْقُلُوبَ تَتَقَلَّبُ؟! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلاَّ وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّـهِ فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ».. وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا بِكَ مِنْ ضِيقٍ وَابْتِلاءٍ، فَإِنْ عَلِمْتَ ذَلِكَ فَقَدْ تَعَزَّيْتَ وَصَبَرْتَ، قَـالَ اللهُ تَعَالَى فِي شَأْنِ نَبِيِّهِ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحجر١٥]

---

(١) (صحيح): أحمد ٢٥٩٨٠، الترمذي ٣٥٢٢، صحيح الجامع ٤٨٠١.

فَاصْبِرْ..وَتَعَلَّمْ كَيْفَ يَكُونُ الصَّبْرُ؟!.

فَقَدْ قَالَ العَلامَةُ ابنُ القَيِّم-رَحِمَهُ اللهُ-في كتَابه القَـيِّم الفوَائد: إنَّ الصَّبْرَ حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الجَزَعِ وَحَبْسُ اللسَانِ عَنِ التَّشَكّي...امْرَأةٌ أُخرَى عَظِيمَةٌ مِنْ فُضْـليَاتِ النِّسَـاءِ صَبْرًا وَطَاعَةً لله؛ إنَّهَا امْرَأةٌ مِنَ الجَنَّةِ؛ ففي حديث عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ ﷺ قَالَ. قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ[1]: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّة قُلْتُ: بَلى، قَالَ: هَذه الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ وَقَالَتْ: إنِّي أُصْرَعُ وَإنِّي أَتَكَشَّفُ،فَادْعُ اللَّهَ لِـي، قَالَ: «إنْ شِئْتِ صبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّـةُ وَإنْ شِئْتِ دَعَـوْتُ اللَّـهَ أَنْ يُعَافِيَكِ، قَالَـتْ: (رضـي الله عنهـا)أَصْـبِرُ، قَالَـتْ: فَـإنِّي أَتَكَشَّفُ،فَادْعُ اللَّهَ أَنْ لا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا،وَكَانَتْ إحْدَى مُعْجِزَات النَّبِيِّ أَنَّهُ رَجُلٌ مُبَارَكٌ مُسْتَجَابُ الدَّعْوَة إذَا دَعَـا رَبَّهُ ﷺ اسْتَجَابَ لَهُ فَوْرَ دُعَائه كَمَا عَدَّ ذَلكَ ابنُ تَيْمِيَـةَ(٢)

(١) (صحيح): البخارى ٥٦٥٢، مسلم ٢٥٧٦، احمد ٣٢٣٠.

(٢) ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-ما يَرْبُو عَلَى الف معجزة لرسول الله ﷺ.

فِي مُعْجزَات النَّبيِّ ﷺ...سُبْحَانَ اللهِ! تَصْبرُ عَلَى المَــرَضِ وَلا تَصْبرُ عَلَى التَّكَشُّف، يَا مَنْ تَتَكَشَّفِينَ بِلاَ صَرَع، أَلاَ تَخَافِينَ أَنْ تَتَكَشَّفي وَأَنْت مَرِيضَةٌ بالصَّرَع؟! فَاللهُ قَادِرٌ وَلاَ يُعْجزُهُ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ؛ وَلَكِنَّهُ يُمْهِلُ وَلاَ يُهْمِلُ..

أَيَّتُهَا المُسْلِمَاتُ اسْتُرْنَ أَنْفُسَكُنَّ يَسْتُرْكُنَّ اللهُ، آه..آه لَوْ رَأَتْ هَذه المَرْأَةُ فَتَيَات المُسْــلمينَ، وَهُــنَّ فــي سُــفُورِهنَّ وَتَبَرُّجهنَّ المشيْن، وَهُنَّ يَعْلَمْنَ أَنَّ سِمَات الثَّوْب الإسْــلاميِّ أَلا يَصف وَأَلا يَكْشِف وَأَلا يَشِفَّ، فَيَا مَنْ تَتَكَشَّفِينَ اتَّقِ اللهَ قَبْلَ لقَاء الله.

لَقَدْ وَصَفَ اللهُ نِسَاءَ الجَنَّة بأَنَّهُنَّ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فــي الخِيَــامِ فَقَــالَ اللهُ: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن٧٢] وَوَصَفَهُنَّ أَيْضًا: بأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ، أي: مَخفــيٌّ، فَقَــالَ اللهُ ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات٤٩] فَكُوني كَالجَوْهَرَة المَصُــونَة المَكْنُونَة، وَلاَ تُظْهِري منْ جسْمك شَيْئًا للــذِّئَاب؛ فَتَقَعــي فَرِيسَةً سَائغَةً لَهُم، وَاعْلَمي -علْمَ اليَقِين- أَنَّــهُ لاَ يَسْــتَوِي

المُتبرِّجَاتُ السَّافِرَاتُ مَعَ الشَّرِيفَات الطَّاهِرَات، شَتَّانَ شَتَّانَ بَيْنَهُمَا، لاَ...لاَ يَسْتَوِيَان، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم٣٥]

وَقَـــال اللهُ تَعَـــالَى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة١٨] فَانظُرِي إِلَى أَيِّ فَرِيقٍ تُحبِّينَ أَنْ تَنْتَمِـــي إِلَيْه! فَيَا أَيَّتُهَا الْمُسْلِمَةُ اتَّخذي منْ أُمَّهَات الْمُؤْمنينَ(رَضيَ اللهُ عَنْهُنَّ) مَثلاً أَعْلَى لَكَ؛ حَتَّى تَلْحَقي بِهِنَّ فِي الجَنَّة؛ لأَنَّ نِسَاءَ الجَنَّة مَسْتُورَاتٌ وَعَفيفَاتٌ، أَتُرِيدينَ أَنْ تَدْخُلِي- وَأَنْت فِي قِمَّة تَبَرُّجك الجَاهليِّ-إِلَى الجَنَّات مَعَ العَفيفَات ؟!

يَا ابْنَتِي إِنْ أَرَدْت آيَةَ حُسْنٍ وَجَمَالاً يَزِينُ جِسْـــمًا وَعَقْـــلاً
فَانْبِذي عَادَةَ التَّبَـــرُّجِ نَبْــــذًا فَجَمَالُ النُّفُوسِ أَسْمَى وَأَغْلَى
يَصْنَعُ الصَّانِعُونَ وَرْدًا وَلَكِنْ وَرْدَةُ الرَّوْضِ لاَ تُضَارِعُ شَكْلاً

يَا صَاحِبَ الابْتِلاءِ... تَعَلَّمْ مِنَ الأَنْبِيَاءِ

أَيُّهَا الحَبِيبُ...اقْرَأْ القُرْآنَ يَرْضَ عَنْكَ الرَّحْمَنُ، وَيَبْتَعِدْ عَنْكَ الشَّيْطَانُ، وتَهْتَد بهَدْيِ الأَنْبيَاء صَفْوَة الأَنَام، اقْرَأْ فَقرَاءَةُ القُرْآنِ عُنْوَانُ الإِيمَان، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِه أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِه﴾ [البقرة١٢١]

اقْرَأْ؛ لِتَتَعَلَّمَ كَيْفَ تَتَعَامَلُ مَعَ اللهِ رَبِّ الأَنَامِ ﷻ بِأَدَب؟ وَهُوَ الخَالِقُ العَظِيمُ، مُدَبِّرُ الأَمْرِ الَّذِي خَلَقَكَ فَهَدَاكَ، وَالَّذِي يُحْيِيكَ لِلحسَاب..وَانْظُرْ إِلَى الأَنْبيَاءِ -وَهُمْ أَفْضَلُ مِنْكَ عِنْدَ اللهِ- كَيْفَ ابْتلاهُمُ اللهُ؟! وَكَيْفَ كَانَ صَبْرُهُمْ وَإِيمَانُهُم عَلَيْهِم-جَمِيعًا- الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ؟..أَأَنْتَ أَفْضَلُ مِنْ رَسُولِ اللهِ مُحَمَّدٍﷺ؟! فَقَدْ ابْتَلاهُ اللهُ ﷻ بِقَوْمٍ أَخْرَجُوهُ مِنْ مَكَّةَ، أَعْظَم بَلَد عَلَى وَجْه الأَرْضِ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ إِنَّهَا أُمُّ القُرَى، كَمَا وَصَفَهَا اللهُ العَلِيمُ فِي قُرْآنِهِ الكَرِيمِ ﴿لِتُنذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى٧] وَأَحَبَّهَا رَسُولُ

الله ﷺ حُبًّا جَمًّا،وأَقْسَمَ عَلَى حُبِّهَا، فَقَالَ ﷺ عِنْدَمَا أُخْـرِجَ مِنْهَا[1]:«والله إنَّكِ خَيْرُ أرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ الأَرْضِ إِلَى اللَّهِ وَلَـوْلا أَنَّ أَهْلَكِ أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا خَرَجْت». قَالَ اللهُ ﷻ في هَــذَا الشَّأْنِ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾ [محمد ١٣]

فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ هَذِهِ الآيَةَ؛ حَتَّى يُهَدِّئَ مِنْ رَوْعِهِ: ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ [القصص٨٥].

فَاصْبِرْ يَا رَسُولَ الله، فَلِكُلِّ حَادِثَةٍ حَدِيثٌ وَوَقْتٌ مُقَدَّر.

وَإِنْ نَأَتْ بِكَ أَوْطَانٌ نَشَـأْتَ بِهَـا ... فَارْحَلْ فَكُـلُّ بِـلادِ الله أَوْطَـانٌ
وَإِنْ جَفَاكَ أَخٌ قَـدْ كُنْـتَ تَأْلَفُـهُ ... فَاطْلُبْ سِوَاهُ فَكَمْ فِي الأَرْضِ إِخْوَانٌ

وَجَعَلَ اللهُ ثَوَابَ هَؤُلاءِ الْمُهَاجِرِينَ عَظِيمًــا؛ لأَنَّ هَــذَا الابْتِلاءَ كَانَ جَلَلاً، خَاصَّةً فِي بِدَايَةِ الدَّعْوَةِ،فَالرَّجُلُ العَرَبِيُّ

---

(١) (صحيح): أحمد ١٨٢٤٢، الترمذى ٣٩٢٥، ابـن ماجـة ٣١٠٨، الـدارمى ٢٥١٠، صحيح الجامع ٧٠٨٩.

مُرتَبطٌ بوَطَنه مَهْمَا بَعُدَ ؛فإِنَّهُ يَسْعَدُ كَثيرًا بالعَوْدَة إِلى مَوْطنه الأَوَّل ؛لذَا كَانَ الأَجْرُ كَريْمًا، فَهَلْ يُكَافَأُ عَلَى اتِّبَاعه هَـذَا الدِّينَ العَظِيمَ أَمْ يُعَاقَبُ بالخُرُوجِ منْ وَطَنه وَأَهْلـه؟إِنَّهُـم كُوْفئوا؛وَلَكنْ منْ مَوْلاهُم الَّذي خَلَقَهُم فَهَدَاهُم، قَـال الله تَعَالَى في شَأْن المُهَاجِرِينَ: ﴿ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِم وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِم وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللهِ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ [آل عمران١٩٥]

إِذًا..كَانَ ابْتلاؤُهُمْ قَويًّا وَشَـديدًا وَمُؤْلمًـا، أَنْ يَجـدَ الإِنْسَانُ نَفْسَهُ فَجْأَةً-وَهُوَ المَحْبُوبُ في أَهْله وَبَلَده-بلا أَهْلٍ وَمَالٍ وَوَلَد وَبَلَد، وَهُمْ الـذينَ أَطْلَقُـوا عَلَيْـه الصَّـادقُ الأَمينُ ﷺ، وَأَوْدَعُوا عنْدَهُ ﷺ أَغْلَى مَا عنْدَهُمْ منْ أَمَانَات، وَمع ذَلكَ طَارَدُوهُ يُريدُونَ قَتْلَهُ، وَرَصَدُوا الجَوَائزَ الثَّمينَةَ لذَلكَ، أي: مَنْ يَظْفَرْ به يَقْتُلْهُ، وَمَعَ ذَلكَ تَرَاهُ يَقُولُ ﷺ لعَليٍّ بن أَبي

طَالب :إذَا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ فَرُدَّ الوَدَائعَ إلَى أَهْلهَا، لذَا؛ كَانَ الثَّوَابُ كَرِيمًا وعَظِيمًا مِنْ رَبِّهِم الكَرِيمِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى..

وَلْنَأْخُذْ مثَالاً حَدَثَ لأَحَدِهِم؛ وَهُوَ الصَّحَابِيُّ ضَمُرَةُ بنُ جُنْدُبﷺوالَّذي فَازَ بأَجْرٍ عَظِيمٍ، عنْدَمَا خَرَجَ مُهَـاجِرًا- وَهُوَ الرَّجُلُ المُسنُّ حَيْثُ كَانَ عُمْرُهُ وَقْتهَا يُنَـاهزُ الثَّمَـانِينَ عَامًا-قَالَ لأَهْله:أَخْرِجُونِي مِنْ أَرْضِ المُشْرِكِينَ، وَاحْمِلُونِي إِلَى أَرْضِ النَّبِيِّﷺ ثُمَّ مَاتَ فِي الطَّرِيـقِ قَبْـلَ أَنْ يَلْحَـقَ بِالنَّبِيِّﷺ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِ قُرْآنًا: ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْـهُ الْمَـوْتُ فَقَـدْ وَقَـعَ أَجْـرُهُ عَلَـى اللَّـهِ وَكَـانَ اللَّـهُ غَفُـورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء،١٠٠] وَهَنِيئًا لَهُ بِشَارَةً أُخْرَى مِنْ رَسُـولِ اللهﷺ حَيْثُ مَاتَ رَجُلٌ بِالمَدِينَةِ مِمَّنْ وُلِدَ بِهَا فَصَلَّى عَلَيْـهِ رَسُـولُ اللهﷺ ثُمَّ قَالَ[1]: "يَا لَيْتَهُ مَاتَ بِغَيْرِ مَوْلِدِهِ،قَالُوا: وَلِمَ ذَاكَ يَـا

(١) (حسن) ابن ماجة ١٦١٤،النسائي ١٨٢٣،وحسَّنَهُ شيخنا الألباني برقم١٨٣٢.

رَسُولُ اللهِ؟ قَالَ ﷺ: إنَّ الرَّجُلَ إذَا مَاتَ بغَيْرِ مَوْلِدِهِ قِيسَ لَهُ مِنْ مَوْلِدِهِ إلَى مُنْقَطِعِ أثرِهِ فِي الجنَّةِ".

وَلَيْتَ الأمْرَ وَقَفَ عنْدَ ذَلكَ وَكَفَى، وَهُوَ إخْرَاجُ المَعْصُومِ ﷺ منْ وَطنه وَأَهْله وَكَفَى به مُصيبَةً، بَلْ أسَالُوا دَمَهُ الشَّرِيفَ منَ الجسْمِ الطَّاهرِ المُكَرَّمِ، وَرَمَوْهُ بأَعْظَمِ السِّبَاب، وَهُوَ منْهَا بَرِيءٌ بَرَاءَةَ الذِّئْبِ منْ دَمِ ابْنِ يَعْقُوبَ عليه السلام، فَهُوَ صَاحبُ الخُلُقِ العَظيمِ، كَمَا وَصَفَهُ المَوْلَى الكَرِيمُ ﷻ، وَرَمَوا أُمَّنَا أُمَّ المُؤْمنينَ عَائشَةَ (رَضيَ اللهُ عَنْهَا) الطَّاهرَةَ العَفيفَةَ بالفَاحشَة، وَلَكنَّهُ أَعْرَضَ عَنْهُم حَتَّى نَزَلَتْ بَرَاءَتُهَا مِنَ السَّمَاءِ فِي سُورَةِ النُّورِ.

أَعْرِضْ عَنِ الجَاهلِ السَّفيه فَكُلُّ مَا قَالَ فَهُوَ فيه
فَمَا ضَرَّ بَحْرَ الفُرَاتِ يَوْمًا أَنْ خَاضَ بَعْضُ الكلاب فيه

وَحَاصَرُوهُ حصَارًا قَاتلاً في شعْب أَبي طَالب، لدَرَجَة أَنَّهُ وَأَصْحَابُهُ رَبَطُوا عَلَى بُطُونهم أَحْزِمَةً منْ شدَّة الجُوع.

لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا جَزَاءً لمُحْسنٍ إذًا لَمْ يَكُنْ فيهَا مَعَاشٌ لظَالمٍ

لَقَدْ جَاعَ فِيهَا الأَنْبِيَاءُ كَرَامَـةً وَشَبِعَتْ فِيهَا بُطُونُ البَهَـائِمِ

بَلْ وَصَلَ الأَمْرُ إِلَى التَّآمُرِ عَلَى قَتْلِه ﷺ، وَرَصْدِ أَعْظَـمِ الجَوَائِزِ؛ لِذَلِكَ الأَمْرِ البَشِعِ عِنْـدَمَا اجْتَمَعُـوا اجْتِمَـاعَهُمُ المَشْئُومَ فِي دَارِ النَّدْوَةِ، وَمَعَ كُلِّ هَذَا نَجِدُ المَوْلَى ﷻ يُوصِيه بِالصَّبْرِ، فَمَا أَعْظَمَ الصَّبْرَ!!وَمَا أَكْرَمَ جَـزَاءَ الصَّـابِرِينَ!! فَتَنَزَلَتْ آيَاتُ الصَّبْرِ الآيَةُ تِلْـوَ الآيَـةِ، قَـالَ اللهُ تَعَـالَى:

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف ٣٥]

﴿اصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور ٤٨]

﴿وَاصْبِرْ حَتَّىَ يَحْكُمَ اللهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس ١٠٩]

فَالصَّبْرُ كَثَوَابِه، لاَ حُدُودَ لَهُ، فَاللهُ يُوَفِّي الصَّابِرِينَ أَجْـرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ فَادْعُ اللهَ أَنْ يُصَبِّرَكَ، وَكُنْ قَرِيبًا-دَائِمًا-مِنْهُ، فَإِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ المُحْسِنِينَ.

وَأُرِيدُكَ أَنْ تَقُولَ دَائِمًا:الحَمْدُ للهِ، فَأَنْتَ أَفْضَـلُ مِـنْ غَيْرِكَ، وَحَالُكَ أَحْسَنُ مِنْ أَحْوَالِ أُنَاسٍ آخَرِينَ، فَانْظُرْ إِلَيْهِمْ

وَاعْتَبِرْ بهِمْ، وَكُنْ مِنَ الشَّاكرينَ رَبَّكَ عَلَى نعَمه العَظيمَـةِ؛ وَيَا حَبَّذَا لَوْ كُنْتُ عَبْدًا شَكُورًا حينئذ تَكُونُ قَدْ وَصَلْتَ إلَى دَرَجَة عَظيمَة فَالشَّاكرُ الَّذي يَشْكُرُ اللَّهَ عَلَى العَطَـاء، أَمَّـا الشَّكُورُ هُوَ الذي يَشْكُرُ اللهَ عَلَى العَطَاء وَالمَنْع مَعًا، فَرُبَّمَـا مَنْعُ هَذه النّعْمَة عَنْكَ فيه خَيْرٌ كَثيرٌ لَكَ وَأَنْـتَ لاَ تَشْـعُرُ بذَلكَ، فَإنْ تَكُ قَدْ سُلبْتَ منْكَ نعْمَةٌ؛ فَكَمْ منْ نعَم وَهَبَـكَ اللهُ إيَّاهَا لاَ تُعَدُّ وَلاَ تُحْصَى! فَـلا تَـزْدَري نعْمَـةَ رَبِّـكَ عَلَيْكَ...فَعَنْ أَبي هُرَيْـرَةَ ﷺ قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللّـه ﷺ[1]: "انْظُرُوا إلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا إلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّـهِ"...فَكُـنْ تَقيًّـا صَـابرًا مُحْتَسبًا، وَاعْلَمْ أَنَّ الفَتْحَ فَتْحَـان: فَـتْحٌ مُبَـارَكٌ عَلَـى المُؤْمنينَ،قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف٩٦]..وَفَتْحٌ آخَرُ عَلَى الكَافرينَ وَهُـوَ

(١) (حسن): البخاري ٦٤٩٠، مسلم ٢٩٦٣، أحمد ٢٧٣٦٤.

فَتْحٌ غيرُ مُبَارك، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ عَنْ النَّبيِّ ﷺ(١): قَالَ: إذا رَأيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ؛ فإنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ، ثُمَّ تَلا رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام٤٤]...

فاخْتَرْ لنفسكَ-هَدَانا وهَدَاكَ اللهُ-مِنْ أيِّ الفريقَيْنِ أنْتَ!.

وَهَا هُوَ سَيِّدُنا يَعْقُوبُ عليه السلام يُبْتَلَى في ابنه سَيِّدِنا يُوسُفَ عليه السلام، إخوَتُهُ يُريدُونَ قَتْلَهُ إلا أَحَدَهُم كَانَ رَحِيمًا به، أتدْرِي مَاذا قَالَ؟! قَالَ: لا تَقْتُلُوهُ، وَأَلْقُوهُ في غَيَابَتِ الجُبِّ! أَيْ: في قَاعَ البئرِ المُظْلمِ! نَبيٌّ كَريمٌ يُرْمَى في قَاعِ الجُبِّ، ثُمَّ يُبَاعُ وَيُشْتَرَى بثمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ، ثُمَّ فتْنَةُ امْرَأةِ العَزِيزِ ثُمَّ فتْنَةُ السِّجْنِ، وَهُوَ مَنْ؟ وَابْنُ مَنْ؟ هُوَ الْكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ

(١) (حسن): انفرد به أحمد ١٦٨٦٠، صحيح الجامع ٥٦١.

عَلَيْهِمْ السَّلَام، كَمَا وَصَفَهُ النَّبيُّ الأَمينُ ﷺ[1] فَهُوَ نَبيٌّ ابنُ نَبيٍّ ابنِ نَبيٍّ ابْنِ نَبيٍّ، إنَّهَا سلْسَلَةٌ شَريفَةٌ كَريمَةٌ مُبارَكَةٌ عَظيمَةٌ، فَمَنْ تَكُونُ أَنْتَ بالقيَاسِ عَلَيْه ؟! وَمَعَ ذَلكَ يَقُولُ سَيِّدُنَا يَعْقُوبُ عليه السلام بَعْدَ هَذَا الابْتلاء: ﴿فَصَبْرٌ جَميلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف١٨]

وَالصَّبْرُ الجَميلُ هُوَ الصَّبْرُ الَّذي لا شَكْوَى فيه للبَشَر؛ إنَّمَا الشَّكْوَى إلَى رَبِّ البَشَر ﷺ فَقَالَ: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف ٨٦] فَلا تَيْأَسَنَّ منْ رَحْمَة الله أَبَدًا، حَتَّى لَوْ اشْتَدَّ عَلَيْكَ المَرَضُ، فَرَحْمَةُ الله وَسعَتْ كُلَّ شَيْء، فَكَمْ منْ سَقيمٍ عَافَاهُ اللهُ! وَكَمْ منْ سَقيمٍ مَاتَ بَغْتَةً! أَلَيْسَ كَذَلكَ؟! بَلَى..

فَكَمْ منْ فَتَى أَمْسَى وَأَصْبَحَ ضَاحكًا ... وَقَدْ نُسجَتْ أَكْفَانُهُ وَهُوَ لا يَدْري
وَكَمْ منْ صغَارٍ يُرْتَجَى طُولُ عُمْرِهم ... وَقَدْ أُدْخلَتْ أَجْسَادُهُمْ ظُلْمَةَ القَبْر
وَكَمْ منْ صَحيحٍ مَاتَ منْ غَيْر علَّة ... وَكَمْ منْ سَقيمٍ عَاشَ حينًا منَ الدَّهْر
وَكَمْ منْ عَرُوسٍ زَيَّنُوهَا لزَوْجهَا ... وَقَدْ قُبضَتْ أَرْوَاحُهُم لَيْلَةَ القَدْر

---

(١) (صحيح): البخاري ٣٣٩٠، أحمد ٥٦٧٩.

فَقُدْرَةُ اللهِ رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ﷻ فَوْقَ قُدْرَةِ الأَطِبَّاءِ، قال رَسُولُ اللهِ ﷺ[1]: «اللهُ الطَّبِيْبُ».

فَانظُرْ-أخي الحَبِيبَ-مَنِ الَّذي شَفَى هَذَا المَرِيضَ؟ وَكَانَ هَذا المَريضُ أَقْرَبَ إِلَى المَوْتِ مِنْهُ إِلَى الحَيَاةِ! وَمَنْ أَمَاتَ هَذَا الصَّحيحَ ؟ وَكَان هَذا الصَّحيحُ أَقْرَبَ إِلَى الحَيَاةِ مِنْهُ إِلَى المَوْتِ! سَلْ نَفْسَكَ-أخي المِفْضَالَ-مَنْ أَمَاتَ هَـذَا وَأَحْيَا ذاكَ؟؟ إِنَّهُ اللهُ المُحْيِي المُمِيتُ، نَسْمَعُ كُلَّ حِين أَنَّ فُلانًا أَغْرَقَ نَفْسَهُ، وَأَنَّ فُلانَةً أَحْرَقَتْ نَفْسَهَا، وَآخَرُ طَعَنَ نَفْسَهُ حَتَّى مات، فمَاتَ هَؤُلاء، وَلَيْتَ الأَمْرَ وَقَفَ عِنْدَ هَـذَا الحَـدِّ وَكَفَى؛ وإنما يظَلُّونَ يَقْتُلُونَ أَنْفُسَهُمْ إِلَى يَوْمِ الـدِّينِ وَهُـمْ مُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ -أَبَدَ الآبِدِينَ- خُلُودًا بلاَ مَوْت.

وَالنَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ أَخْبَرَنَا عَنْ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَة أَوْ مَا شَابَهَ ذَلِكَ؛ لِيَمُوتَ، فَمَثْوَاهُ جَهَنَّمُ، فَقَالَ ﷺ[2]: «مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بحدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ

(١) (صحيح): صحيح الجامع ١٢٥٢

(٢)(صحيح): البخارى ٥٧٧٨، مسلم ١٠٩، أبو داود ٣٨٧٢، الترمذى ٢٠٤٣، النسائى ١٩٦٥، ابن ماجة ٣٤٦٠، أحمد ٧٣٩٩، الدارمى٢٣٦٢.

خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ شَرِبَ سَمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا»....وَهَذَا حَدِيثٌ آخَرُ عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ(١):"قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ فَجَزِعَ، فَأَخَذَ سِكِّينًا؛ فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ، فَمَا رَقَأَ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: بَادَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ، حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ"...

بَلْ وَصَلَ الأَمْرُ أَنَّ بَعْضَ فُقَهَاءِ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا: إِنَّ هَذَا الْمُنْتَحِرَ الَّذِي قَتَلَ نَفْسَهُ لاَ يُغَسَّلُ وَلاَ يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَلاَ يُدْفَنُ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ؛ لأَنَّهُ مَاتَ يَائِسًا قَانِطًا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾ [الحجر٥٦] إِذًا..الأَمْرُ جَلَلٌ وَخَطِيرٌ،نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَخْتِمَ لَنَا بِحُسْنِ خِتَامٍ وَأَنْ يَتَوَفَّانَا وَهُوَ رَاضٍ عَنَّا.

(١)(صحيح): البخاري ٣٤٦٣، مسلم ١١٣، أحمد١٨٣٢٣.

وَاسْمَعْ إِلَى سَيِّدِنَا أَيُّوبَ ﷺ الَّذِي مَرِضَ مَا يَقْرُبُ مِنْ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ عَامًا، ثُمَّ مَاذَا؟ قَـالَ: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء٨٣] فَيَقُـولُ اللهُ ﷻ: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ﴾ [الأنبياء٨٤] وَلَـمْ يَقُـلْ نَبِـيُّ اللهِ أَيُّوبُ ﷺ (ربِّ أنِّي أَهْلَكَنِيَ الضُّرُّ) إِنَّهُ أَدَبُ الأَنْبِيَاءِ مَـعَ رَبِّ الأَرْضِ والسَّمَاءِ، فَجَعَلَ اللهُ شِفَاءَهُ فِي حِفْنَةِ مَاءٍ، فَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص٤٢]

سُبْحَانَ اللهِ!..لَقَدْ شَفَى اللهُ أَيُّوبَ ﷺ بِحِفْنَةِ مَاءٍ بَعْـدَ هَذَا الصِّرَاعِ الشَّدِيدِ مَعَ المَرَضِ؛ حَيْثُ شَرِبَ-كَمَا أَمَـرَهُ اللهُ-المَاءَ فَطَهَّرَ اللهُ مَا بِدَاخِلِهِ مِنَ الدَّاءِ، وَاغْتَسَلَ فَأَذْهَبَ اللهُ مَا بِهِ مِنَ البَلاءِ، فَتَعَلَّمْ مِنْهُم، وسِرْ عَلَى دَرْبِ الأَتْقِيَاءِ، فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَذَكَّرُ نَبِيَّ اللهِ مُوسَى ﷺ وَيُثْنِي عَلَـى

صَبْرِه فيَقُولُ ﷺ(١): «رَحْمَةُ اللَّهِ عَلى مُوسى أُوذِي بأكْثَر مِنْ هَذا فَصَبَرَ».

وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مُصيبَة تُصيبُكَ تَكُونُ لَكَ لا عَلَيْكَ، قَالَ الله ﷻ ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة:٥١] فَأَنْتَ -بصَبْرِكَ وَشدَّة إيمَانكَ وَقْتَ حُدُوث المُصيبَة- تُحَوِّلُهَا إلَى حَسَنَات لَكَ إنْ شَاء الله. وَرَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ(٢): «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ».

إذَا أَصَابَتْكَ نَكْبَةٌ فَاصْبِرْ لَهَا	مَنْ ذا رَأَيْتَ مُسْلِمًا لا يُنْكَبُ
وَارْعَ الأَمَانَةَ وَالخِيَانَةَ فَاجْتَنِبْ	اعْدِلْ وَلا تَظْلِمْ يَطِبْ لكَ مَكْسَب
وَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي	وَالنُّصْحُ أَغْلَى مَا يُبَاعُ وَيُوهَبُ

فَاصْبِرْ وَصَابِرْ وَرَابِطْ وَاتَّقِ الله، قَالَ الله تَعَالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

---

(١) (صحيح): البخارى ٦٢٩١، مسلم ١٠٦٢، أحمد ٣٥٩٧

(٢) (صحيح): البخارى ٥٦٤٥، أحمد ٧١، مالك ١٧٥٢

[آل عمران ٢٠٠].

يُنَادي المَوْلَى عِبَادَهُ المُؤْمنِينَ نَاصِحًا إِيَّاهُمْ، أَنْ يَصْبِرُوا عَلَى الطَّاعَات وَالمَصَائِب وَعَنِ المَعَاصِي، وَأَنْ يُصَابِرُوا الكُفَّارَ فَلاَ يَكُونُوا أَشَدَّ صَبْرًا مِنَّا، وَأَنْ يَتَّقُوا اللهَ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِم حَتَّى يَفُوزُوا بِالجَنَّة وَيَنْجوْا مِنَ عَذَابِ النَّارِ، وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ المُبِينُ، وَهَلْ هُنَاكَ فَلاحٌ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ؟!.

أيُّها المُبْتَلَى انْتَبِهْ..ولا تَتَمَنَّ المَوْتَ

أحيَانًا يَشْتَدُّ المَرَضُ بأحَدنَا أوْ أزمَةٌ منَ الأزمَات، وَمَـا أكثَرَ الأزمَاتِ هَذه الأيَّامَ! ممَّا يَجْعَلُ الإنسَانَ يَتَمَنَّى المَوْتَ، فَلا تَستَسلمْ-أخي الحَبيبَ- حَتَّى لا تَقَعَ فَريسَةً للشَّـيْطَان وَوَسَاوِسه، وَاترُكْ أمْرَكَ كُلَّهُ للهِ ﷻ.

سَهِرَتْ عُيُونٌ وَنَامَتْ عُيُونٌ ... في أُمُورٍ تَكُونُ أوْ لا تَكُـونُ
فَادْرأ الهَمَّ مَا استَطَعْتَ عَـنِ ... النَّفْسِ فَحُمْلانُكَ الهُمُومَ جُنُونُ
إنَّ رَبًّا كَفَاكَ بالأمْسِ مَا كَانَ ... سَيَكْفيكَ في غَدٍ مَـا يَكُـونُ

وَقَدْ نَهَانَا رَبُّنَا-أيُّهَا المُبْتَلَى- عَنْ قَتْلِ أنْفسنا ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء:٢٩] أمَّا أنْ يُصَابَ المَرْءُ أوَّلَ إصَابَةٍ فَيُصيبُهُ اليَأسُ، وَيَتَمَنَّى المَوْتَ، وَيَقُولُ بملْءِ فيـه :يَارَبِّ..أرِحْني، فَهَذَا القَوْلُ عَلامَةٌ منْ عَلامَـاتِ السَّـاعَة

فَاحْذَرْهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ[1]:«لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي مَكَانُهُ وَذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ البَلاءِ».

بَلْ إِنَّ نَبِيَّنَا ﷺ نَهَانَا عَنْ أَنْ يَتَمَنَّى أَحَدُنَا المَوْتَ فِي حَدِيثٍ خَطِيرٍ مِنَ البَشِيرِ النَّذِيرِ[2]:«لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ مِنْ ضُرٍّ أَصَابَهُ، فَإِنْ كَانَ لابُدَّ فَاعِلاً فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الوَفَاةُ خَيْرًا لِي».

حِينَئِذٍ يَخْتَارُ اللهُ ﷻ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ، إِمَّا الحَيَاةَ وَإِمَّا الوَفَاةَ، نَعَمْ..يَخْتَارُ لَكَ مَا يَنْفَعُكَ وَيَرْفَعُكَ وَيُصْلِحُ شَأْنَكَ..

وَاعْلَمْ-أَيُّهَا الحَبِيبُ-أَنَّ اللهَ يَبْتَلِيكَ؛ حَتَّى تَدْعُوَهُ وَتَتَذَكَّرَهُ وَتَتَضَرَّعَ إِلَيْهِ، فَرُبَّمَا نَسِيتَ أَوْ تَنَاسَيْتَ اللهَ لِسَبَبٍ أَوْ لآخَرَ، وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَسْمَعَكَ وَأَنْتَ تَدْعُوهُ، فَيَبْتَلِيكَ

---

(١) (صحيح): البخارى ٧١١٥، مسلم ١٥٧، أبو داود ٤٢٥٥، ابن ماجة ٤٠٤٧، أحمد ٧١٤٦.

(٢) (صحيح): البخارى ٥٦٧١، مسلم ٢٦٨٠، أبو داود ٣١٠٨، الترمذى ٩٧١، النسائى ١٨٢٠، ابن ماجة ٤٢٦٥، أحمد ١١٥٦٨.

فتقولُ: يَا رَبِّ..مُخلصًا مِنْ قَلْبِكَ، قَالَ اللهُ ﷻ فِي شَأْنِ قَوْمٍ: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام٤٢]

فَالبَأْسَاءُ شدَّةُ الفقْرِ، وَالضَّرَّاءُ شدَّةُ المَرَضِ، أي: مُصيبَةٌ بَعْدَ مُصيبَةٍ؛ حَتَّى يَكُونُوا عَلَى صلَة دَائمَة باللهِ ﷻ فَادْعُ اللهَ وَلاَ تَغْفُلْ، تَعَلَّمْ منْ صحَابَة رَسُولِ اللهِ ﷺ، اسْتَمِعْ إلَيْهِم وَهُمْ في غَزْوَة بَدْرٍ، يستغيثون رَبَّهُم مُدَبِّرَ أُمُورِهم، قَالَ اللهُ ﷻ في شأنِهِم: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال٩] وَاللهِ إنْ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّعَاءِ إلاَّ هَذه الآيَة لَكَفَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة١٨٦] أيْ: إِذَا سَأَلَكَ عبَادي عَنْ قُرْبي أَوْ عَنْ كَرَمي أَوْ عَنْ رَحْمَتي وَفَضْلي وَعَفْوي فَإِنِّي مُجيبٌ، إنَّهَا آيَةٌ عَظيمَةٌ تَسْكُبُ في قَلْبِ المؤْمنِ الثِّقَةَ باللهِ وَاليَقينَ في رَبِّه العَظيمِ، وَيَعيشُ فيهَا المؤمنُ في مَلاذٍ أَمينٍ وَقَرَارٍ مَكينٍ؛ فَلَيْسَ في الآيَة وَاسطَةٌ بَيْنَ العَبْدِ

وربِّه؛ حتَّى ولَوْ كانَتْ هَذه الوَاسطَةُ هِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ!!
وَلذَا لَمْ يَقُلِ اللهُ ﷻ: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَقُلْ إِنِّي قَرِيبٌ) فَلاَ وَاسطَةَ؛ فَالفَاءُ للسُّرْعَة وَالتَّعْقيب؛ لأَنَّ اللهَ قَرِيبٌ، فاللهُ أَقْرَبُ إِلَيْكَ مِنْ حَبْلِ الوَرِيد؛ أَقْرَبُ إِلَيْكَ مِنْ دَمكَ؛ الَّذي يجْري في جِسْمكَ، فَقَالَ ﷻ: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْه مِنْ حَبْلِ الوَرِيد ﴾ [ق:١٦] فَبِاللهِ عَلَيْكَ، كَمْ مَرَّة دَعَوْتَ اللهَ بِصدْق، وَاسْتَغَثْتَ رَبَّكَ ﷻ في حَيَاتكَ كُلِّهَا؟! فَاسْتَغِثْ بِاللهِ يُغِثْكَ اللهُ، وَلاَ تَسْتَغِثْ بِوَلِيٍّ أَوْ غَيْرِه، إِنَّمَا المُغيثُ اللهُ -جَلَّ شَأْنُهُ- فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ دُعَاءَ إِلاَّ للهِ؛ وَلاَ رَجَاءَ إِلاَّ فِي اللهِ؛ وَلاَ اسْتغَاثَةَ وَلاَ اسْتعَانَةَ إِلاَّ به وَحْدَهُ ﷻ..

وَإِنِّي لَنَاصحٌ نَفْسي وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْعَلَ -دَائمًا- بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ أَسْرَارًا لاَ يَطَّلِعُ عَلَيْهَا إِلاَّ مَوْلاَكَ -جَلَّ شَأْنُهُ- وَأَعْظَمُ الأَسْرَارِ بِالنَّهَارِ الصِّيَامُ، وَأَعْظَمُ الأَسْرَارِ بِاللَّيْلِ القِيَامُ، نَاهيكَ عَنْ ثَوَابِ الصَّدَقَاتِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَى اللهِ بِأَعْمَالٍ صَالحَة أُخْرَى وعبادَاتٍ سرِّيَة لا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا وَلاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ رَبُّ الأَرْبَاب؛

حَتَّى إذَا دَعَوْتَ اللهَ ﷻ سَمعْتَ مَنْ يَقُولُ لَكَ: لَبيْكَ عَبْدي.

لَبسْتُ ثَوْبَ الرَّجَا وَالنَّاسُ قَدْ رَقَدُوا   وَقُمْتُ أَشْكُو إلَى مَوْلاَيَ مَا أَجدُ
وَقُلْتُ يَا عُدَّتي فـي كُـلِّ نَائبَـة   وَمَنْ عَلَيْه في كَشْف الضُّرِّ أَعْتَمدُ
أَشْكُو إلَيْكَ ذُنُوبَـاً أَنْـتَ تَعْلَمُهَـاً   مَا لي عَلَى حمْلهَا صَبْرٌ وَلاَ جَلَـدُ
وَقَدْ مَدَدْتُ يَدي بالـذُّلِّ مُعْتَرفًـا   إلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ مُدَّتْ إلَيْـه يَـدُ
فَـلاَ تَرُدَنْهَـا يَـا رَبِّ خَائبَـةً   فَبَحْرُ جُودكَ يَرْوي كُلَّ مَنْ يَـردُ

فَادْعُ اللهَ وَلاَ تَسْتَعْجلِ الإجَابَةَ، نَبيَّان كَريمَان منْ أَنْبيَاء اللهِ مُوسَى وَهَارُون (عَلَيْهمَا السَّلامُ) وَسَيِّدُنَا مُوسَـى عليه السلام مـنْ أَعْظَم أَنْبيَاء الله ذكْرًا في القُرْآن، فَمَا بَيْنَ سُورَة وَأُخْرَى إلا وَيُطَالعُكَ ذكْرُ هَذَا النَّبيِّ الكَليمِ عليه السلام في القُرْآن الكَـريم.. سَيِّدُنَا مُوسَى وَأَخُوهُ هَارُون (عَلَيْهمَا السَّـلامُ) يَـدْعُوَان عَلَـى فرْعَوْنَ وَقَوْمه بقَوْلهمَـا: ﴿ رَبَّنَا إنَّكَ آتَيْتَ فرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زينَةً وَأَمْوَالاً في الْحَيَاة الدُّنْيَا رَبَّنَا ليُضلُّواْ عَن سَبيلكَ رَبَّنَا اطْمسْ عَلَى أَمْوَالهمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبهمْ فَلاَ يُؤْمنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَليمَ﴾ [يونس ٨٨] فَاسْتَجَابَ اللهُ لَهُمَا بَعْدَ أَرْبَعينَ سَنَةً منْ دُعَائهمَـا كَمَا قَالَ المفَسِّرُونَ، فَلاَ تَسْتَعْجلِ الإجَابَةَ فَلَعَلَّ في تَـأْخير

الإجَابَة خَيْرًا لكَ وَأَنْتَ لاَ تَدْرِي، أَوْ لَعَلَّ في وُقُوعِ هَـذه المُصيبَة أَوْ تلْكَ خَيْرًا كَثيرًا لصَاحبهَا، ولَكنَّ نَظَرَ صَـاحبهَا القَاصرَ لاَ يُدْركُ ذَلكَ،ولله دَرُّهُ مَنْ قَالَ:

قدْ يُنعمُ اللهُ على بَعْضِ القوْمِ بالبَلْوَى　　وَيَبْتَلي اللهُ بَعْضَ القَوْمِ بالنِّعَمِ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقـرة٢١٦] فَاللهُ –وَحْدَهُ– يَعْلَمُ وَنَحْنُ لاَ نَعْلَمُ..

وَاسْتَعنْ دَائمًا بالله وَلاَ تَعْجزْ وَكُنْ منَ الصَّابرين، قَـالَ اللهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة١٥٣] لمَنْ هَذَا النِّدَاءُ وَالأَمْرُ بالله عَلَيْـكَ؟! لَكَ–أَيُّهَا المؤْمنُ الصَّابرُ–وَتَأَمَّلْ قَوْلَ الله–تَعَالَى–بَعْـدَهُمَا؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ لتَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ.. وَيَكْفيكَ–أَيُّهَا

المبْتَلَى-أنَّكَ حَبيبُ مَوْلاكَ رَبِّ العَالَمينَ، قَالَ النَّبيُّ ﷺ[1]: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سخِطَ فلهُ السُّخْطُ».

وَأُبَشِّرُكَ بآيَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ كريمَةٍ اخْتَرْتُهَا لكَ؛ حَتَّى يَنْشرِحَ صَدْرُكَ؛ لمَا فِيهَا مِنَ البِشَارَةِ العَظِيمَةِ لكَ.

فَالدَّاخِلُونَ إِلَى الجَنَّةِ وَأَعْلَى المرَاتبِ فِيهَا (الغُرْفَةِ) مِن الصَّابِرِينَ-اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ هَؤُلاءِ-قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت٣٥] وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا﴾ [الفرقان٧٥] وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ [الرعد٢٤] وَاقْرَأ-مَا شِئْتَ-قَوْلَ رَبِّكَ: ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان١٢]

---

(١) (صحيح): أبو داود ٤٤٥٦، الترمذي ٢٣٩٦، صحيح الجامع ٢١١٠

وَمَا أَجْمَلَ هَذِه الآيَةَ مِنْ كِتَابِ رَبِّنَا فِي ثَوَابِ الْمُؤْمِنِ يَـــوْمَ القِيَامَــةِ! ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الفَائِزُونَ﴾ [المؤمنون١١١] فَأَصْحَابُ الجَنَّةِ فِي الآخِرَةِ هُمْ أَعْظَــمُ النَّــاسِ صَبْرًا فِي الدُّنْيَا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة١٥٥]

يَا صَاحِبَ الهَمِّ إِنَّ الهَمَّ مُنْفَرِجٌ	أَبْشِرْ بِقُرْبٍ فَإِنَّ الفَــارِجَ اللهُ
اليَأْسُ يَقْطَعُ أَحْيَانًــا بِصَــاحِبِهِ	لا تَيْأَسَــنَّ فَــإِنَّ الكَــافِيَ اللهُ
اللهُ يُحْدِثُ بَعْدَ العُسْرِ مَيْسَــرَةً	لا تَجْزَعَنَّ فَــإِنَّ الصَّــانِعَ اللهُ
إِذَا بُلِيتَ فَثِقْ بِاللهِ وَارْضَ بِــهِ	إِنَّ الَّذِي يَكْشِفُ البَلْوَى هُوَ اللهُ

أيُّهَا الحبيبُ بِمَنْ تَسْتَغِيثُ -بِصِدْقٍ- وَقْتَ الشِّدَّةِ ؟!

إِنْ قَدَّرَ اللهُ قَدَرًا وَنَزَلَ بِكَ فَاسْتَغِثْ بِاللهِ أَنْ يُثَبِّتَ قَلْبَكَ عَلَى الحَقِّ؛ وَيَهْدِيَكَ وَيَكْشِفَ عَنْكَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل:٦٢] فَحِينَئِذٍ مَنْ يُجِيبُكَ غَيْرُهُ؟! فَالإِنْسَانُ إِذَا وَقَعَ فِي مُصِيبَةٍ يَتُوهُ عَقْلُهُ، وَيَضِيعُ فِكْرُهُ، وَلاَ يَسْتَحْضِرُ ذِهْنُهُ فِي هَذَا المَجَالِ إِلاَّ كُلَّ مَنْ يَسْتَطِيعُ نَصْرَهُ، وَيَدْعُو كُلَّ مَحْبُوبٍ إِلَيْهِ مُقَرَّبٍ، قَال عَنْتَرَةُ الشَّاعِرُ الجَاهِلِيُّ فِي شَأْنِ عَبْلَةَ مَحْبُوبَتِهِ، وَالمعْرَكَةُ قَائِمَةٌ عَلَى قَدَمٍ وَسَاقٍ؛ فِي أَشُدِّهَا وَسَطَ الكَرِّ وَالفَرِّ:

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالرِّمَاحُ كَأَنَّهَا ... أَشْطَانُ(١) بِئْرٍ فِي لَبَانِ الأَدْهَمِ
فَوَدِدْتُ تَقْبِيلَ السُّيُوفِ لأَنَّهَا ... لَمَعَتْ كَبَارِقِ ثَغْرِكِ المُتَبَسِّمِ

إِنَّهُ تَذَكَّرَ امْرَأَةً ضَعِيفَةً؛ لِيُصِيبَهُ الحَمَاسُ أَوْ لِيَسْتَمِدَّ مِنْ ذِكْرِهَا القُوَّةَ؛ لأَنَّهَا مَحْبُوبَتُهُ، أَمَّا أَنْتَ -أَيُّهَا الموَحِّدُ- فَانْظُرْ

---

(١) الأشطان: جمع شطن وهو حبل البئر، وشبه الرمح به؛ لطوله، اللبان: الصدر، الأدهم: الفرس الأسود.

ممَّنْ تَستَمدُّ القُوَّةَ؟! الإجَابَةُ: اسْتَمَدُّ القُوَّةَ، مــن صَــاحب القُوَّة كُلِّهَا؛ منَ الله، أتَدْري لمَاذَا؟! لتَعْلَمَ أنَّ لَكَ رَبًّا تَلْجَأُ إلَيْه وَقْتَ كَرْبكَ، لأنَّ القُوَّةَ لله جَميعًا، فَحبيبُكَ اللهُ، وَالقَويُّ القَاهرُ هُوَ اللهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقـرة١٦٥] لذَا قَالَ اللهُ للمُؤْمنينَ صَحَابَة النَّبيِّ الأمين وَقْتَ المعْرَكَة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾ [الأنفـال٤٥] ليَنْزِعَ الدُّنيَا منْ قُلُوبهم وَقْــتَ الأزْمَــة وَالقتَال، وَهُمْ-حينَئذ-لَيْسَ بَيْنَهُم وَبَيْنَ المــوْت إلاَّ دَقَــائقُ مَعْدُودَةٌ بَلْ أَقَلُّ، كُلٌّ منهُم يَذْهَبُ إلَى القتَال وَهُوَ مُتَأَكِّدٌ منْ أنَّهُ لَوْ مَاتَ وَاحدٌ في المعْرَكَة فَسَيَكُونُ هُوَ هَــذَا الوَاحــد، يَفقدُ حَيَاتَهُ؛ وَهيَ أَغْلَى مَا يَمْلكُهُ الإنْسَانُ في الدُّنيَا، حَتَّــى يَمُوتُوا عَلَى التَّوْحيد الخَالص، هَكَذَا وَقْتَ الأزْمَة يَدْعُو كُلٌّ منَّا كُلَّ مَحْبُوب إلَيْه مُقَرَّب؛ ليَنصُرَهُ قَائلاً: أغثنــي؛ فَمَــنْ

أَحَبُّ إِلَيْكَ منَ اللهِ؟! لاَ يَمُوتُونَ في سَبِيلِ النِّسَاء ميتَةَ الجَاهليَّة؛ إِنَّمَا يَمُوتُونَ في سَبيل الله رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَاء، تَعَلَّمْ منْ صحَابَة رسُول الله ﷺ سيِّد الأَوْفيَاء، استَمعْ إِلَيْهم وَهُمْ في غزْوَة بَدْر، يَستَغيثُون رَبَّهُم مُدَبِّرَ أُمُورهم وَنَاصرهم عَلَى عَدُوِّهم، قَالَ اللهُ ﷻ في شَأْنهم: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال٩] فَمَقَاليدُ المعَارك كُلّهَا بيد منْ؟! بيَد المَوْلى جَلَّ وَعَلا فَاللهُ يُؤَيِّدُ مُؤْمنًا وَلاَ يُؤَيِّدُ كَافرًا، لذَا لَنْ تَجدَ مَعْرَكَةَ النَّصرَ فيها المسْلمُونَ إِلاَّ وَهُمْ قلَّةٌ، وَمَا غَزْوَةُ حُنَيْنٍ منَّا ببعيد، عنْدَمَا أَعْجَبَت المسْلمينَ كَثْرَتُهُم، فَلَمْ تُغْنِ عَنْهُم منَ الله شَيْئًا، ﴿وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال٢٦] وَلَمْ يَقُلْ: ضُعَفاء؛ فَالعَدُوُّ هُوَ الَّذي استَضْعَفكُم وَلَكنَّكُم أَنتُمْ-في حَقيقَة الأَمْر-أَقْويَاء بإيمَانكم وَنَبيِّكُم وَقَبْلَهُمَا بمَعيَّة رَبِّكُم، فَإنَّ هَذَا المفْهُوم وَقَرَ في قُلُوب

الصَّحَابَة، إنَّهَا العَقِيدَةُ الصَّحِيحَةُ، فَلاَ اسْتِغَاثَةَ وَلاَ ذِكْرَ إلاَّ لله مَعَ أَخْذٍ كَامِلٍ بالأَسْبَاب؛ لِتَدْخُلَ في مَعِيَّة الله، فَمَنْ كَانَ مَعَهُ اللهُ فَمَعَهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَمَنْ فَقَدَ مَعِيَّةَ الله فَقَدْ فَقَدَ كُلَّ شَيْءٍ، فَكُنْ لله كَمَا يُرِيدُ يَكُنْ لَكَ فَوْقَ مَا تُرِيدُ، فَالإِنْسَانُ بِطَبِيعَته خُلِقَ ضَعِيفًا؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء٢٨] هَكَذَا خَلَقَهُ اللهُ تَعَالَى، كَلِمَةٌ حَسَنَةٌ تُفْرِحُهُ، وَكَلِمَةٌ سَيِّئَةٌ تُؤْذِيه وَتَجْرَحُهُ، وَمَرَضٌ بَسِيطٌ يُلِمُّ بِهِ رُبَّمَا يَسْتَفْحِلُ خَطَرُهُ فَيَقْتُلُهُ، لِذَا فَهُوَ فِي حَاجَة إِلَى مَنْ يَنْصُرُهُ وَقْتَ غَوْثِه، وَلاَ يَتَخَلَّى عَنْهُ، وَإِلَى مَنْ يُؤَيِّدُهُ وَقْتَ ضَعْفِه، وَإِلَى مَنْ يَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَتَهُ وَقْتَ أَزْمَته، لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعِيشَ-فِي مُجْتَمَعِه-وَاحِدًا فَرْدًا، الَّذي يَسْتَطِيعُ ذَلكَ هُوَ اللهُ رَبُّ الأَرْبَاب الوَاحِدُ الأَحَدُ، فَهُوَ لاَ يَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ، وَجَمِيعُ الخَلاَئِق تَحْتَاجُ إِلَى الفَرْد الصَّمَد..

وَهَا هُوَ أَعْظَمُ كَافِرٍ وَهُوَ فِرْعَوْنُ-وَقْتَ شِدَّته-اسْتَغَاثَ بالله، وَهُوَ الَّذي اسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ، وَقَالَ لَهُمْ فِي غُرُورٍ

شَديد: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص٣٨] تَرَاهُ الآنَ حينَمَا أَتَاهُ الغَرَقُ—وَهُوَ الَّذي ادَّعَى الرُّبُوبيَّةَ وَالأُلُوهيَّةَ—يَستَغيثُ بالله مُعْلنًا إِيمَانَهُ للمَرَّة الأُولَى وَالأَخيرَة!! قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس٩٠].

أَمَّا المؤْمنُ الحَقُّ مَهْمَا أُوتيَ منْ ضَعْف فَهُوَ قَويٌّ بالله، وَمَهْمَا أُوتيَ منْ قُوَّة فَهُوَ ضَعيفٌ فَقيرٌ إِلَى عَفْو مَوْلاَهُ؛ لأَنَّ الَّذي بيَده الأُمُورُ كُلُّهَا هُوَ اللهُ، فَاللهُ نَاصرُكَ وَمُؤَيِّدُكَ وَحَافظُكَ؛ لذَا ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً للذينَ يَعْتَمدُونَ عَلَى غَيْره، وَلاَ يَستَنْصرُونَ به، وَإِنْ عَبَدُوهُ أَشْرَكُوا مَعَهُ في العبَادَة آلهَةً أُخرَى، وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْره، فَهُمْ آنَذَاكَ كَمَثَل العَنْكَبُوت في ضَعْفهَا: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت٤١] فَبَيْتُ العَنْكَبُوت ضَعيفٌ، لاَ يَصُدُّ بَرْدًا وَلاَ يَمْنَعُ حَرًّا، فَالبَيْتُ أَضْعَفُ منَ العَنْكَبُوت نَفْسه،

وَكَذَا الكَافِرُ فَهُوَ ضَعِيفٌ، وَمَعَ ذَلِكَ تَرَاهُ يَعْتَمِدُ عَلَى مَنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُ؛ لِيَنْصُرَهُ!! أَمَّا الصَّالِحُونَ فَوَلِيُّهُم اللهُ الَّذِي لاَ يَغْفُلُ وَلاَ يَنَامُ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف ١٩٦] أي: مُتَوَلِّي أُمُورِي وَمُدَبِّرُهَا؛ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ القُرْآن وَيَحْفَظُ الصَّالِحِينَ فِي حِلِّهِم وَتَرْحَالِهِم؛ لذلكَ قَالَ اللهُ: ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية ١٩] فَهَنِيئًا لَكَ أَيُّهَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ بِوَلاَيَةِ اللهِ لَكَ، فَهُوَ وَلِيُّكَ وَنَاصِرُكَ، أَمَّا غَيْرُهُ فَلاَ يَنْصُرُ وَلاَ يَنْفَعُ وَلا يَضُرُّ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنْفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف ١٩١-١٩٢] فَادْعُ بِإِخْلَاصٍ؛ وَأَنْتَ مُوقِنٌ بِالإِجَابَةِ إِنْ شَاءَ اللهُ، قَالَ سُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ[1]: "لاَ يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ مِنَ الدُّعَاءِ مَا يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِه؛ فَإِنَّ اللهَ أَجَابَ دُعَاءَ شَرِّ الخَلْقِ إِبْلِيسَ إِذْ قَالَ: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَى يَوْمِ

---

(١) كما في فتح الباري ١١/١٤٤.

الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [ص٧٩-٨٠-٨١]

وَاعْلَمْ-أَيُّهَا الحبيبُ-أَنَّ اسْتبْطَاءَ النَّصْرِ وَالإِجَابَةِ نَوْعٌ منَ الابْتلاَءِ، فَلا تَسْتَعْجِلِ النَّصْرَ، فعَنْ خَبَّاب قَالَ أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً فِي ظِلِّ الْكَعْبَة، فشَكَوْنَا إِلَيْه فَقُلْنَا: أَلا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟! أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟! فجَلَس مُحْمَرًّا وَجْهُهُ فَقَالَ[1]: «قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، ثُمَّ يُؤْتَى بالْمِنْشَارِ فَيُجْعَلُ عَلى رَأْسِه فَيُجْعَلُ فِرْقَتَيْنِ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عَظْمِهِ مِنْ لَحْمٍ وعَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ؛ وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الأَمْرَ؛ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَحَضْرَمُوتَ مَا يَخَافُ إِلا اللَّهَ-تَعَالَى-وَالذِّئْبُ عَلَى غَنَمِهِ؛ وَلَكِنَّكُمْ تَعْجَلُونَ».

---

(١) (صحيح). البخارى ٣٦١٢، أبو داود ٢٦٤٩، أحمد ٢٦٦٧٥

أيُّهَا المُبْتَلَى..الصَّلاةَ الصَّلاةَ..وإيَّاكَ والتَّفْرِيطَ فِيهَا.

أَنْصَحُكَ-أيُّهَا المُبْتَلَى-وأَنْصَحُ نَفْسِي بعَدَمِ التَّفْرِيطِ في الصَّلاةِ مَهْمَا كَانَ الأَمْرُ، فَأَثْنَاءَ زِيَارَتِي لأَحَدِ المَرْضَى الأَقَارِبِ سَأَلْتُ أَخَاهُ:هَلْ يُصَلِّي ؟؟ فَقَالَ بصَرَاحَة: لاَ، فَسَأَلْتُ عَنِ السَّبَبِ، فَقَالَ: لأَنَّ حَالَتَهُ النَّفْسِيَّةَ سَيِّئَةٌ للْغَايَة، فَقُلْتُ لأَخيه: أَلاَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَوْ مَاتَ الآنَ يَمُوتُ عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ؟! أَلاَ يَعْلَمُ هَذَا الرَّجُلُ أَنَّ الصَّلاةَ تُفَرِّجُ عَنْهُ مَا هُوَ فيه ؟!فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ فَزِعَ إِلَى الصَّلاةِ، بَلْ كَانَ يَقُولُ ﷺ لبلالٍ [1]: "يَا بلالُ أَقِمِ الصَّلاةَ أَرِحْنَا بهَا"؛ فَالصَّلاةُ عمَادُ الدِّين، وَلَنْ يَقُومَ دينٌ بلاَ عمَاد، أَلَيْسَ كَذَلكَ؟! بَلَى..فَمَنْ أَقَامَهَا فَقَدْ أَقَامَ الدِّينَ، وَمَنْ هَدَمَهَا فَقَدْ هَدَمَ الدِّينَ، وَعَلَيْكَ بقِرَاءَة القُرْآن؛ فَإِنَّ اللهَ رَبَطَ بَيْنَ القُرْآنِ وَالصَّلاة، فَقَالَ ﷻ ﴿اتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الكِتَابِ وَأَقِمِ

---

(١) (صحيح): أبو داود ٤٩٨٥، أحمد ٢٢٥٧٨، صحيح الجامع ٧٨٩٢.

الصَّلاةَ ﴾ [العنكبوت٤٥] فَاقْرَأ القُرْآنَ وَلاَ تَغْفُلْ عَنْهُ، وَصَلِّ فَالصَّلاةُ صِلَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَبِّ الأَنَام،وَللأَسَفِ مَا أَكْثَرَ تَارِكِي الصَّلاةِ اليَوْمَ مِنَ المَرْضَى!! وَعَلَيْنَا أَنْ نُذَكِّرَ هَذَا المَرِيضَ بِخَطَئِهِ العَظِيمِ، فَالصَّلاةُ عَمُودُ الإِسْلامِ، فَالرَّجُلُ المُصَلِّي الصَّابِرُ فِي مَعِيَّةِ اللهِ-كَمَا أَسْلَفْنَا القَوْلَ-قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة١٥٣] وَوَاجِبُنَا نَحْوَهُ وُجُوبُ مُنَاصَحَتِهِ وَدَعْوَتُهُ الدَّائِمَةُ إِلَى الحَقِّ، فَإِنْ أَصَرَّ عَلَى تَرْكِهَا فَيَجِبُ تَرْكُهُ وَهَجْرُهُ وَعَدَمُ إِجَابَةِ دَعْوَتِهِ؛ حَتَّى يَتُوبَ إِلَى مَوْلاَهُ؛ فَيَتُوبَ اللهُ عَلَيْهِ بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ.

وَأُبَشِّرُكَ بِحَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ[1]: «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلا نَصَبٍ وَلا سَقَمٍ وَلا حَزَنٍ حَتَّى الْهَمِّ يُهِمُّهُ إلا كَفَّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ».وَلَكِنْ انْظُرْ مَرَّةً ثَانِيَةً إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ:مَا يُصِيبُ

(١) (صحيح): البخارى ٥٦٤٢، مسلم ٢٥٧٣، الترمذى ٩٦٦، أحمد ٧٩٦٧.

المُؤْمِنَ... وَهَلْ يُتَخَيَّلُ أَنَّ هُنَاكَ مُؤْمِنًا لاَ يُصَلِّي للهِ العَلِيِّ الكَبِيرِ ﷻ؟؟! إِنَّ اللهَ يُرِيدُ أَنْ يُطَهِّرَكَ؛ حَتَّى تَمْشِيَ عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْكَ خَطِيئَةٌ،فَهَلْ أَنْتَ عَلَى الدَّرْبِ سَائِرٌ إِلَى رَبِّكَ...مُلْتَزِمٌ بِسُنَّةِ نَبِيِّكَ ؟!.

نِداءٌ إلى الأصِحَّاءِ....إخْوانكُمْ في حَاجَةٍ إلَيْكُمْ

وأُهيبُ بإخْوَانِنَا أنْ يَحرِصُوا عَلَى زِيَارَة إخْوَانِهمُ المَرْضَى قَدْرَ استطَاعَتِهم، فَسَيَجدُونَ عنْدَهُمْ رَبَّ العَالَمينَ بفَضْلِه وكَرَمه؛ حَتَّى لاَ يُعَاتِبَهُمْ رَبُّهُمْ، كَمَا وَرَدَ في الحَديث القُدْسيِّ الطَّويلِ وَشَاهِدُنَا فيه قَوْلُ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ[1]: «يَا ابْنَ آدَمَ مَرضْتُ فَلَمْ تَعُدْني، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أعُودُكَ وَأنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟! قَالَ: أمَا عَلِمْتَ أنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ؟! أمَا عَلِمْتَ أنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟! يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟! قَالَ: أمَا عَلِمْتَ أنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟! أمَا عَلِمْتَ أنَّكَ لَوْ أطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أسْقِيكَ وَأنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟! قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أمَا إنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟!»..

---

(١) (صحيح): مسلم ٢٥٦٩، أحمد ٨٩٨٩.

وعَنْ ثوْبَان ﷺ مَوْلَى رَسُول الله ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ(١): «إِنَّ الْمُسْلِم إذا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ لَمْ يَـزَلْ فِـي خُرْفَـةِ الْجَنَّـةِ حَتَّـى يرْجِعَ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ، قَالَ: جَنَاهَا» (٢)

وَانْظُرْ إِلَى ثَوَاب عَظِيم آخرَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(٣): «مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ نَـادَاهُ مُنَـادٍ أَنْ طِبْـتَ وَطَـابَ ممْشَاك، وَتَبَوَّأْت مِنْ الْجَنَّةِ مَنْزِلاً»..

فَاحْرِصْ عَلَى زِيَارَة إِخْوَانكَ فِي الله، وَذَكِّرْهُم بِثَـوَابِ الله وَفَضْلِ إِقَامَة الصَّلاة تَفُزْ بأَجْرٍ عَظِـيمٍ -إِنْ شَـاءَ الله- وَتُبْعَثْ آمنًا يَوْمَ القِيَامَة، عَنْ أَبِي سَعِيد ﷺ أَنَّ رَسُـولَ اللَّـه ﷺ(٤): قَالَ سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِـي ظِلِّـهِ يَـوْمَ لَـا ظِـلَّ إِلَّـا ظِلُّـهُ...... وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّـقٌ بِالْمَسَاجِدِ، فَمَا بَالُكَ بِمَنْ صَلَّى فِي الْمَسَاجِد وحَافَظَ عَلَى ذَلكَ ؟!..

---

(١) (صحيح): مسلم ٢٥٦٨، الترمذى ٩٦٧ أحمد ٢١٨٦٨.

(٢) الخرفة: ما يُخترف من النخل حين يُدرك، أفاده صاحب النهاية.

(٣) (صحيح): أحمد ٨٣٣١، الترمذى ٢٠٠٨، صحيح الجامع ٦٣٨٧.

(٤) (صحيح) البخارى ٦٦٠، مسلم ١٠٣١، النسائى ٥٣٨٠، أحمد ٩٣٧٣، مالك ١٧٧٧

وختامُ المسكِ.. فتاوى مهمَّةٌ لأصحابِ الابتلاءاتِ(١)

وَأَختمُ هَذه الرِّسَالَةَ بهَذه الفتَاوَى للشَّيْخِ الجَليلِ ابنِ عُثَيمينَ -رَحمَهُ اللهُ تَعَالَى- وَهيَ عَنْ عُقُوبَة تَاركِ الصَّلاة؛ لتَعْلَمَ -أخي المُبْتَلَى- أنَّ الأَمْرَ لَيْسَ هَيِّنًا كَمَا تَظُنُّ وَيَظُنُّ مَعَكَ الكَثيرُ منَ المُسْلمينَ، وَبَعْدَهَا -إنْ شَاءَ اللهُ- كَيْفَ يَتَطَهَّرُ المَريضُ وَيُصَلِّي؟ وَهَذه الفَتْوَى -أَيْضًا- للشَّيْخِ الجَليلِ ابْنِ عُثَيْمينَ -رَحمَهُ اللهُ- وَلَكنْ للأَمَانَة العلْميَّة أَوْجَزْتُهَا قَدْرَ اسْتطَاعَتي؛ حَتَّى لاَ أَشُقَّ عَلَى إخْوَاننَا أَصْحَاب الأَعْذَار المُخْتَلفَة؛ وَلَكنْ مَا أَخَذْتُهُ منْ فَتْوَى شَيْخنَا الفَقيه يُنَاسبُ أَحْوَالَهُم بإذْن الله..ثُمَّ يَلي هَذَا الأَمْرَ أَمْرُ كَيْفيَّة التَطَهُّر؛ اسْتعْدَادًا للصَّلاة وَكَيْفيَّة صَلاة المَريض..

مَا حُكْمُ تَاركِ الصَّلاةِ؟؟

تَنْبيهٌ مُهمٌّ: مَسْأَلَةُ تَرْك الصَّلاة مَسْأَلَةٌ فيهَا خلافٌ وَاضحٌ بَيْنَ العُلَمَاء بَيْنَ الجُحُود وَالتَّرْك وحُكْم الكُفْر وَعَدَمه، وَلكُلٍّ

---

(١) (هذه الفتاوى مستفادة من فتاوى الشيخ ابن عثيمين رحمه الله).

منهُ أسانيدُهُ الشرْعيَّةُ، والَّذي احْتجَّ بهَا، اخترْتُ-منْ بيْن أقْوالِهم-قوْلَ الشيْخ ابْنِ عُثَيْمين-رحمَهُ اللهُ-رغْمَ أنَّهَا قَوِيَّةٌ ومُخيفَةٌ ؛ وذلكَ لخُطُورَة الأمْرِ في مَسْألَتي تَرك الصَّلاة والأحْكَام المترَتِّبَة علَى تَرْكهَا، ولَقدْ دعَّمَ الشيْخُ قوْلَهُ بأدلَّة قَاطعَة منَ القُرْآن والسُّنة.

وإلى فتْوَى الشيْخ في هَذَا الأمْر كَاملَةً غيْرَ منْقُوصَة..

قالَ الشيْخُ: إذا كانَ هَؤُلاء لا يُصلُّونَ أبَدًا فإنَّهُم كَافرُون مُرتدُّون خَارجُون عن الإسْلام، ولا يَجُوزُ أنْ يُسْكَنَ مَعَهُم، ولَكنْ منْ حقِّهم علَيْنَا أنْ نَدْعُوهُم ونُلحَّ عَلَيْهم ونُكرِّرَ؛ لعَلَّ اللهَ يَهْديهم ؛لأنَّ تَاركَ الصَّلاة كَافرٌ- والعيَاذُ بالله- بدَليلِ الكتَاب والسُّنة وقَوْل الصحَابَة، أمَّا منَ القُرْآن قوْلُ الله تَعَالى عَن المُشْركينَ: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة١١]

مَفْهُومُ الآيَة الكَريمَة وَاضحٌ وَصَريحٌ، بمعْنَى: أنَّهُ إذَا لَمْ يَفْعَلُوا ذَلكَ فلَيْسُوا إخْوَانَنا، ولاَ تَنْتَفي الأخُوَّةُ الدِّينيَّةُ

بالمعَاصِي وَإنْ عَظُمَتْ، وَلَكنْ تَنْتَفي عندَ الخُـرُوجِ عَـنِ الإسْلامِ.

أمَّا منَ السُّنَّة:فَقَوْلُ النَّبِـيِّ ﷺ(١): «بَـيْنَ الرَّجُـلِ وَبَـيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ» وَقَوْلُهُ في حَديث بريدَة(٢):«الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كفَرَ»

أمَّا أقْوَالُ الصّحَابَة :قَالَ أمِـيرُ المُـؤْمنينَ عُمَـرُ بْـنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه:(لاَ حَظَّ في الإسْلام لِمَنْ تَـرَكَ الصَّـلاةَ) وَالحَـظُّ: النَّصيب، وَأَتَتْ نَكرَةً في سيَاقِ الكَلامِ؛ لإفَادَة العُمُوم، أيْ: لاَ نَصيبَ قَليل وَلاَ كَثير.

مَا الأَحْكَامُ المُتَرَتِّبَةُ عَلَى تَرْكِ الصَّلاَةِ؟؟

الأَحْكَامُ المُتَرَتِّبَةُ عَلَى تَرْك الصَّلاَة كَثيرَةٌ منْهَا:

أوَّلاً :أنَّهُ لاَ يَصحُّ أنْ يُزَوَّجَ فَإنْ عُقدَ لَهُ وَهُوَ لاَ يُصَـلِّي

---

(١) (صحيح): مسلم ٨٢، أبو داود ٤٦٧٨، الترمذي ٢٦١٨، ابن ماجـة ١٠٧٨، أحمد ١٤٥٦١، الدارمي١٢٣٣.

(٢) (صحيح): الترمذي ٢٦٢١، النسائي ٤٦٣، ابن ماجة ١٠٧٩، أحمد ٢٢٤٢٨

فَالنِّكَاحُ بَاطِلٌ وَلاَ تَحِلُّ الزَّوْجَةُ بِـهِ لِقَوْلِـهِ تَعَـالَى عَـنِ الْمُهَاجِرَات: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [الممتحنة١٠]

ثَانِيًا :أَنَّهُ إِذَا تَرَكَ الصَّلاَةَ بَعْدَ أَنْ عُقِدَ لَهُ فَـإِنَّ نِكَاحَـهُ يُفْسَخُ وَلاَ تَحِلُّ الزَّوْجَةُ لِلآيَةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا سَـابِقًا عَلَـى حَسبِ التَّفْصِيلِ المَعْرُوفِ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ قَبْلَ الدُّخُولِ أَوْ بَعْدَهُ.

ثَالِثًا :أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي لاَ يُصَلِّي إِذَا ذَبَحَ لاَ تُؤْكَـلُ ذَبِيحَتُهُ؛ لأَنَّهَا حَرَامٌ،وَلَوْ ذَبَحَ يَهُودِيٌّ أَوْ نَصْرَانِيٌّ يَحِلُّ لَنَا أَنْ نَأْكُلَهَا، فَيَكُونُ ذَبْحُهُ أَخْبَثَ مِنْ ذَبْحِ أَهْلِ الكِتَابِ.

رَابِعًا: أَنَّهُ لاَ يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَدْخُلَ مَكَّةَ أَوْ حُدُودَ حَرَمِهَـا؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة ٢٨]

خَامِسًا :أَنَّهُ لَوْ مَاتَ أَحَدٌ مِنْ أَقَارِبِهِ فَلاَ حَقَّ لَـهُ فِـي

الميرَاث،فَلَوْ مَاتَ رَجُلٌ عَن ابْن لَهُ لاَ يُصَلِّي (الرَّجُلُ مُسْلمٌ وَالابْنُ لاَ يُصَلِّي) وَعَن ابْن عَمٍّ لَهُ بَعيد، مَن الَّذي يَرثُهُ ؟؟ ابنُ عَمِّه البَعيدُ دُونَ ابنه لقَوْل النَّبيِّ ﷺ في حَديث أُسَامَةَ رضي الله عنه(1):«لا يَرثُ الْمُؤْمنُ الْكَافرَ وَلا يَرثُ الْكَافرُ الْمُؤْمنَ» .

وَلقَوْله ﷺ(2):«أَلْحقُوا الْفَرَائضَ بأَهْلهَا فَمَا بَقيَ فَهُوَ لأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ» وَهَذَا مثَالٌ يَنْطَبقُ عَلَى جَميع الوَرَثَة.

سَادسًا :أَنَّهُ إذَا مَاتَ لاَ يُغَسَّلُ وَلاَ يُكَفَّنُ وَلاَ يُصَلَّى عَلَيْه وَلاَ يُدْفَنُ في مَقَابر الْمُسْلمينَ إذًا مَاذا نَصْنَعُ به ؟؟ نَخْرُجُ به إلَى الصَّحْرَاء وَنَحْفُرُ لَهُ وَنَدْفنُهُ بثيَابه، لأَنَّهُ لاَ حُرْمَةَ لَهُ وَعَلَى هَذَا فَلاَ يَحلُّ لأَحَد مَاتَ عنْدَهُ مَيِّتٌ–وَهُوَ يَعْلَمُ–أَنَّهُ لاَ يُصَلِّي أنْ يُقَدِّمَهُ للمُصَلِّينَ الْمُسْلمينَ يُصَلُّونَ عَلَيْه.

سَابعًا :أَنَّهُ يُحْشَرُ يَوْمَ القيَامَة مَعَ فرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ

---

(1) (صحيح): البخارى ٤٢٨٣، مسلم ١٦١٤، أبو داود ٢٩٠٩، الترمذى ٢١٠٧، ابن ماجة ٢٧٢٩، أحمد ٢١٢٤٠.

(2) (صحيح): البخارى ٦٧٣٢، مسلم ١٦١٥، أبو داود ٢٨٩٨، الترمذى ٢٠٩٨، ابن ماجة ٢٧٤٠، أحمد ٢٦٥٣.

وَأُبيّ بن خلف أئمّة الكُفرِ -وَالعيَاذُ بالله- وَلاَ يَدْخُلُ الجَنَّــةَ وَلاَ يَحلّ لأحد منْ أَهْله أَنْ يَدْعُوَ لهُ بالرَّحْمَة وَالمغفرَة؛ لأنَّهُ كَافرٌ لا يسْتَحقُّهَا لقَوْله تَعَالى: ﴿مَا كَانَ للنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة ١١٣] انْتهَتْ فَتوَى الشَّيْخ.

كَيْفَ يَتَطَهَّرُ المَرِيضُ؛ اسْتِعْدَادًا لِلصَّلَاةِ[١]؟

يَجبُ عَلى المريضِ أنْ يَتَطَهَّرَ بالمَاء فَيَتَوَضَّأُ من الحَدَث الأصْغَر،وَيَغتسَلَ من الحَدَث الأكْبَر فَإنْ كَـانَ لاَ يَسْـتَطيعُ الطَّهَارَةَ بالمَاء؛ لعَجْزه أوْ خَوْف زيَادَة المَرَضِ أوْ تَأخّرَ شفَاؤُه، فَإنَّهُ يَتَيَمَّمُ.

كَيْفيَّةُ التَّيمُّم. أنْ يَضربَ الأرْضَ الطَّاهرَةَ بيَدَيْه ضَـرْبَةً وَاحدَةً يَمْسَح كَفَّيْه بَعْضَهُمَا ببَعْضٍ ثُمّ يَمْسَحُ بهمَا جَميـع وَجْهه، فَإنْ لَمْ يَسْتَطعْ أنْ يَتَطَهَّرَ بنَفْسه فَإنَّهُ يُوَضِّؤُهُ أوْ يُيَمّمُهُ

(١) مستفاد من فتاوى ابن عثيمين -رحمه الله-

شَخْصٌ آخَرُ، فإذَا كَانَ فِي بَعْضِ أَعْضَاءِ الطَّهَارَةِ جُرْحٌ، فَإِنَّهُ يَغْسلُهُ بالمَاء، فَإنْ كَانَ الغُسْلُ بالمَاءِ يُؤَثِّرُ عَلَيْهِ مَسَحَهُ مَسْحًا، فَيَبلّ يَدَهُ بالمَاء ويُمَرِّرُهَا عَلَيْهِ.

فَإنْ كَانَ المَسْحُ يُؤَثِّرُ عَلَيْهِ أَيْضًا فَإِنَّهُ يَتَيَمَّمُ عَنْهُ، فَإِذَا كَانَ فِي بَعْضِ أَعْضَائِه كَسْرٌ مَشْدُودٌ عَلَيْهِ خرْقَةٌ أَو جِبْسٌ، فَإِنَّهُ يَمْسَحُ عَلَيْهِ بالمَاء بَدَلًا منْ غَسْله، ولَا يَحْتَاجُ للتَّيَمُّمِ ؛لأَنَّ المَسْحَ بَدَلٌ عَنِ الغَسْلِ.

يَجُوزُ أَنْ يَتَيَمَّمَ عَلَى الجدَارِ أَو عَلَى شَيْءٍ آخَرَ طَاهِرٍ لَهُ غُبَارٌ، فَإنْ كَانَ الغُبَارُ مَمْسُوحًا بشَيْءٍ منْ غَيْرِ جنْسِ الأَرْضِ كَالبُويَا (زيت النّقاشَة)، فَلاَ يَتَيَمَّمُ عَلَيْه إلا أَنْ يَكُونَ لَهُ غُبَارٌ.

إذَا لَمْ يَكُنْ التَّيَمُّمُ عَلَى الأَرْضِ أَو الجدَارِ أَو شَيْءٍ آخَرَ لَهُ غُبَارٌ فَلاَ بَأْسَ أَنْ يُوضَعَ تُرَابٌ فِي إنَاءٍ أَو منْديلٍ وَيَتَيَمَّمَ منْهُ.

إذَا تَيَمَّمَ لصَلاَة وَبَقِيَ عَلَى طَهَارَته إلَى وَقْت الصَّلاَة الأُخْرَى، فَإِنَّهُ يُصَليهَا بالتَّيَمُّمِ الأَوَل، وَلاَ يُعيدُ التَّيَمُّمَ للْصَّلاَة

الثانية؛ لأنَّهُ لمْ يزَلْ عَلَى طهَارَته، وَلَمْ يُوجَدْ مَا يُبْطلُهَا.

يجبُ عَلَى المَريضِ أَنْ يُطَهِّرَ بَدَنُهُ منَ النَّجَاسَات، فَإِنْ كَانَ لَا يستَطيعُ صَلَّى عَلَى حَاله، وَصَلَاتُهُ صَحيحَةٌ، وَلَا إِعَادَةَ عَلَيْه.

يجبُ عَلَى المَريضِ أَنْ يُصَلِّيَ بثيَاب طَاهرَة، فَإِنْ تَنَجَّسَتْ ثيَابُهُ وجَبَ غَسْلُهَا أَوْ إِبْدَالُهَا بثيَاب طَاهرَة، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَلَّى عَلى حَاله، وَصَلَاتُهُ صَحيحَةٌ وَلَا إِعَادَةَ عَلَيْه، يَجبُ عَلَى المَريضِ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى شَيْء طَاهرٍ، فَإِنْ تَنَجَّسَ مَكَانُهُ وَجَب غَسْلُهُ أَو إِبْدَالُهُ بشَيْء طَاهرٍ أَوْ يَفْرشَ عَلَيْه شَيْئًا طَاهرًا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَلَّى عَلَى حَاله، وَصَلَاتُهُ صحيحَةٌ، وَلَا إِعَادَة عَلَيْه

لَا يَجُوزُ للْمَريضِ أَنْ يُؤَخِّرَ الصَّلَاة عَنْ وَقْتهَا منْ أَجْل العَجزِ عَنْ الطَّهَارَة، بَلْ يَتطَهَرُ بقَدْرِ مَا يُمْكنُهُ أَنْ يُصَلِّيَ الصَّلَاة في وَقْتهَا وَلَو كَانَ عَلَى بَدنه أَو ثَوْبه أَو مَكَانه نَجَاسَة يَعْجَزُ عَنْهَا.

كَيْفَ يُصَلِّي المَرِيضُ(١)؟

*يَجبُ عَلَى المَرِيضِ أنْ يُصَلِّيَ الفرِيضَةَ قَائمًا وَلو مُنْحَنيًا أو مُعْتَمدًا عَلَى عَصًا أو جَالسًا أو يُصَلِّيَ عَلَى جَنْبه، فَإنْ لَمْ يَتمَكَّنْ مِنَ التَّوَجُّه إلَى القبْلَة صَلَّى حَيْثُ كَانَ اتِّجَاهُهُ. وَصَلاتُهُ صَحيحَةٌ،وَلَا إعَادَةَ عَلَيْه.

أوْ صَلَّى مُسْتَلْقيًا أوْ يَرْكَع وَيَسْجُد في صَلاَته، فَإنْ لَمْ يَسْتطعْ أوْمَأ بِهمَا برَأْسه، وَيَجْعَل السُّجُودَ أخْفَضَ مِنْ الرُّكُوع.

*فَإنْ كَانَ لَا يَسْتَطيعُ الإيمَاءَ برَأْسه في الرُّكُوع وَالسُّجُود أشَارَ بعَيْنَيْه فَيُغْمضُ قَليلاً للرُّكُوع وَيُغْمضُ أكْثَرَ للسُّجُود،أمَّا الإشَارَةُ بالإصْبَع كَمَا يَفعَلُهُ بَعْضُ المَرْضَى، فَلَيْسَ بصَحيحٍ وَلا أعْلَمُ لَهُ أصْلاً منَ الكتَاب وَالسُّنَّة وَلا منْ أقْوَال أهْل العلْم.

*فَإنْ كَانَ لا يَسْتَطيعُ الإيمَاءَ بالرَّأسِ وَلا الإشَارَةَ بالعَيْنِ

(١) مستفاد من فتاوى ابن عثيمين –رحمه الله–

صلَّى بقلبِه فيُكبِّرُ ويَقرأُ.

* يَجبُ عَلى المَريضِ أنْ يُصلِّيَ كُلَّ صلاةٍ في وَقتِها، فإنْ شَقَّ عَليْه ذلكَ فلَهُ الجَمْعُ بيْنَ الظُّهْرِ والعَصْرِ، وبَيْنَ المَغربِ والعِشاءِ.

أمَّا صلاةُ الفجرِ فإنَّهُ لا يَجْمَعُ لمَا قَبْلَهَا ولا لمَا بَعْدَهَا.

فإذا كانَ المَريضُ مُسافرًا يُعالَجُ في غَيْرِ بَلَدِه ،فإنَّهُ يَقْصرُ الصلاةَ الرُّباعيَّةَ : فيُصلِّي الظُّهْرَ والعَصْرَ والعشاءَ علَى رَكْعَتيْنِ؛ حتَّى يَرْجِعَ إلَى بَلَدِه سَواءً طَالَتْ مُدَّةُ سَفَرِه أمْ قَصُرَتْ.

نصيحةٌ أخيرةٌ.. كُنْ تقِيًّا، ولا تستعجِلِ الخيرَ.

فتَعَلَّمْ –حبيبي في الله وحبيبَ ربِّ العالمينَ– كيفَ تَتطَهَّرُ وتُصلِّي؟ حتَّى لاَ يَغْضَبَ رَبُّكَ عَلَيْكَ، فمنْ خلال فَتَاوَى شيْخنَا نَجدُ أنَّ المَسْأَلَةَ –أحْبَابِي الفُضَلاَءَ– خَطيرَةٌ جدًّا، وَمَعَ الأَسَفِ الشَّديد فَإنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَتَهَاوَنُونَ في الأَمْرِ، وَيُقرُّونَ في البَيْتِ مَنْ لاَ يُصَلِّي، وَهَذَا لاَ يَجُوزُ، لاَبُدَّ وَأنْ نُشْعِرَهُ بارْتكَابه ذَنْبًا عَظيمًا، يَهْوِي به في نَار جَهَنَّمَ خَالدًا مُخَلَّدًا؛ إنْ لَمْ يَنْتَصِحْ وَيُدْرِكْ مَدَى خُطُورَة مَا هُوَ غَائرٌ فيه، وَلاَ يَكْفِي أَنْ نَقُولَ كَمَا يَقُولُ الجُهَلاءُ: وَالله هُوَ لاَ يُصَلِّي، وَلَكنَّ قَلْبَهُ أَبْيَضُ، وَهَلْ هُنَاكَ مَنْ هُوَ أَتْقَى قَلْبًا وَأَعْظَمُ عَمَلاً وَمقامًا منْ رَسُول اللهﷺ؟! فَلمَاذَا لَمْ تَسْقُطْ عَنْهُﷺالصَّلاَةُ ؟! وَسَلْ نَفْسَكَ هَلْ سَيُخَلَّدُ في الجَنَّة رَجُلٌ أَو امْرَأَةٌ لَمْ يَسْجُدَا وَلَمْ يَرْكَعَا لله مَرَّةً، أَيُعْقَلُ هَذَا ؟! إنَّ المُتَكَاسلَ السَّاهيَ عَنْ صَلاَته لَهُ وَاد عَظيمٌ في جَهَنَّمَ يُسَمَّى الوَيْلَ، فَمَا بَالُكَ بتَاركهَا؟! قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون٤-٥]

يَا مَنْ تَرَكْتَ الصَّلاَةَ أَوْ تَسَاهَلْتَ بهَا..تَدَارَكْ بَقيَّةَ عُمْرِكَ بِالعَمَلِ الصَّالِحِ،فَلاَ تَدْرِي كَمْ بَقي منْ عُمْرِكَ؟ هَلْ

بَقِيَ شُهُورٌ أَوْ أَيَّامٌ أَوْ سَاعَاتٌ؟! فَالعلْمُ عنْدَ الله، وَإِنَّمَا العَبْدُ الفَقيرُ إِلَى الله–كَاتبُ هَذه السُّطُورِ–نَاصحٌ لنَفْسه وَلَكَ، وَأُذَكِّرُكَ وَنَفْسِي دَائمًا بِقَوْلِه تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَا﴾ [طه٧٤] فَإِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَغْفُلَ عَنْ هَذه الآيَة.فَتَاركُ الصَّلاَة–حَبيبي في الله–منْ أَعْظَمِ الْمُجْرِمينَ عَلَى وَجْه الأَرْضِ–عَافَانَا اللهُ وَإِيَّاكَ–منْ هَذه الْمُصيبَة وَهَذَا الإِجْرَامِ، وَإِنِّي سَائلُكَ سُؤَالاً: رَجُلٌ لاَ يَخْشَعُ وَلاَ يَرْكَعُ وَلاَ يَسْجُدُ وَلاَ يَخفدُ (يُسْرِعُ مُطيعًا مُتَقَرِّبًا) إِلَى رَبِّ العَالَمينَ، فَهَلْ يَكُونُ سَوِيًّا مَعَ العَالَمينَ ؟! وَصَدَقَ الفَارُوقُ رضي الله عنه إِذْ يَقُولُ: مَنْ كَانَ مُضَيِّعًا للصَّلاَة فَهُوَ لغَيْرِهَا أَضْيَعُ، وَنَحْنُ كَثيرًا مَا نَسْتَمعُ لوَصَايَا وَنَصَائحِ الأَطبَّاء، بالله عَلَيْكَ..أَلَمْ تجرِّبْ ذَاتَ مَرَّة هَذَا العلاجَ النَّاجعَ لسَيِّد الأَتْقيَاء وَخَاتَمِ الأَنْبيَاء ؟! قَالَ رَسُولُ الله(١) ﷺ : " دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بالصَّدَقَةِ " رَوَى البَيْهَقِيُّ أَنَّ عَبْدَاللهِ بنَ الْمُبَارَكِ(٢)أَتَاهُ

---

(١) (حسن): انظر صحيح الجامع للشيخ الألباني ٣٣٥٨.

(٢) وَعَبْدُالله بنُ المبَارَك منْ سَلَفنَا الصَّالحِ، كَانَ جَامعًا لخصَال الخَيْر، يَحجُّ عَامًا وَيُجَاهدُ عَامًا، يَتَمَيَّزُ عَنْهُ صَحَابَةُ رَسُولِ الله أَنَّهم رَأَوْا النَّبِيَّ ﷺ رَأْيَ العَيْنِ، وَهُوَ أحَدُ الَّذينَ تَرَكُوا أَثَرًا حَميدًا في حَيَاتهم وَبَعْدَ مَمَاتهم، وَعنْدَ مَمَاته وَقَفَ هَارُونُ الرَّشيدُ–

رَجُلٌ وَرُكْبَتُهُ تَنْزِفُ دَمًا، وَأَخْبَرَ عَبْدَ الله أَنَّهَا تَنْزِفُ هكَذا مُنْذُ مُدَّة طَويلَة، وَلَمْ يَنْتَفِعْ بعلاجٍ أَبَدًا وَصَفهُ الأطبَّاءُ لَهُ، فَأَشَارَ عَلَيْه عَبْدُ الله أَنْ يَحْفُرَ بئرَ مَاء لِيَنْتَفعَ به المُسْلمُون، فَإذَا مَا خَرَجَ المَاءُ شُفيَتْ رُكْبَتُكَ بإِذْن الله، فَفعَل الرَّجُل وَمَعَ أَوَّل تَدَفُّق للمَاء شُفيَتْ رُكْبَتُهُ وَجَفَّ دَمُهَا بَلْ عَادَتْ أَفْضَلَ ممَّا كَانَتْ، فَتَعَلَّمْ منْ هَؤُلاء الصَّالحين كَيْفَ تَتَصَدَّقُ؟!، وَاعْلَمْ أَنَّ للصَّدَقَة فَوَائدُ عُظْمَى تَنفَعُكَ في دُنْيَاكَ وَآخرَتكَ، فَأَسْأَلُكَ بالله العَليِّ العَظيم أَنْ تُجَرِّبَ هَذَا العلاجَ النَّبَويَّ الحَكيمَ–وَلَوْ مَرَّة–لتَعْلَمَ بنَفْسكَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لا يَنْطقُ عَنِ الهَوَى، لَقَدْ جَرَّبْنَا كُلَّ شَيْء في حَيَاتنَا، وَفَشلْنَا فَشَلاً ذَريعًا، فَلمَاذَا لاَ نُجَرِّبُ وَنَلْتَزمُ بتَعَاليم رَبِّنَا وَسُنَّة نَبيِّنَا ﷺ؟! إنَّ الَّذي خَلَقَنَا هُوَ أَعْلَمُ بمَا يُصْلحُنَا، أَلَيْس كَذَلكَ؟! وَهُوَ الَّذي أَوْحَى إلى نَبيِّنَا ﷺ مَا يَنْفعُنَا، فَعَلَيْكَ بالصَّلاة وَالصَّدَقَة وَلاَ تُقَصِّر فيهمَا،وَلا تَغْفُل لَحْظَةً عَنْ أَيِّ عَمَلٍ صَالحٍ في مَقْدُوركَ أَنْ تَفْعَلَهُ فَافْعَلْهُ، وَلاَ تَنْدَمْ عَلَى

نَفْسُهُ–يَتَقَبَّلَ فيه العَزَاء–وَهَارُونُ الرَّشيد هُوَ مَنْ هُوَ في مُلْكه، فقدْ اتَّسعتْ رُقْعَةُ الدَّوْلَةُ الإسلاميَّةُ في عَهْده اتِّساعًا كبيرًا–وَكَان لعَبْد الله بن المُبَارَك تجارَتُهُ الرَّابحَةُ مع الله، وَكَان يَنْصَحُ بهَا النَّاس

فعْله،حتَّى لَوْ صَادَفَ قَوْمًا لَيسُوا لَهُ بأهْلٍ،فَأنْتَ أهْـلٌ لَـهُ، فَأَكْثِرْ منَ الصَّالحَات؛فَهِيَ الأَنْفعُ وَالأَبْقَى لصَاحبِهَا في الدُّنْيا وَالآخرَة، وَاعْلَمْ أنَّ هُنَاكَ أُمورًا، رُبَّمَا لاَ يَظْهَرُ أثَرُهَا الْمُبَاشرُ لصَاحِبِهَا في التَّوِّ وَاللحْظَة، وَلَكنْ رُبَّمَا يَظْهَرُ أثَرُهَـا عَلَـى المَدَى البَعيد، إمَّا عَلَى فَترَات مُتَبَاعدَة منْ حَيَاتكَ أو مُتقَاربَةً، وَرُبَمَا لَا يَظْهَرُ لَهَا أثَرٌ إلا بَعْدَ مَمَاتِـكَ فِـي أوْلادكَ، فَـلا تَسْتَعْجِلِ الخَيْرَ، وَلَكنَّهُ وَاقعٌ-بإذنَ الله- لَا مَحَالَـةَ، انْظُـرْ عِنْدَمَا صَاحَبَ سَيِّدُنَا مُوسَى عليه السلام العَبْدَ الصَّالحَ الخَضرَ فِـي رِحْلَته-وَكَانَتْ كُلُّهَا حكَمًا وَعبَرًا- وَخَاصَّةً عنْدَمَا ذَهَـبَ الاثْنَانَ إلَى هَذه القَرْيَةُ، فَطَلَبَا طَعَامًا فَأَبَى أهْـلُ القَرْيَـة أنْ يُضَيِّفُوهُمَا، وَمَعَ ذَلكَ بَنَى العَبْدُ الصَّـالحُ فِيهَـا جِـدَارًا، فَتَعَجَّبَ سَيِّدُنَا مُوسَى عليه السلام وَقَالَ منْ وَجْهَة نَظَره رغْمَ أنَّـهُ نَبِـيٌّ؛ إلاَّ أنَّـهُ بَشَـرٌ ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف٧٧] ولله دَرُّهُ مَنْ قَالَ:

لَنَا وَقْتٌ نَرَى فَوْقَ السَّمَاء	وَوَقْتٌ نَحْنُ فيه مثْلُ عُمْيَان
إذَا مَا اللهُ لَمْ يُظْهرْ لعَبْده	فَمَا أُذُنٌ وَمَا قَلْبٌ وَعَيْنَـان

وَعنْدَمَا عَلمَ الحكْمَةَ منَ الجدَارِ سُرْعَانَ مَا زَالَ عَجَبُـهُ،

وَسَبَبُ بناء الجدار -كَمَا تَعَلَمُ- صَلاَحُ وَالد الطِّفْلَيْنِ اليَتيمَيْنِ، فَقَدْ وَكَّلَ اللهُ للأَبْنَاء مَنْ يَحْفَظُ لَهُمَا مَالَهُمَا، فَصَلاَحُ الآبَاء يَنْفَعُ الأَبْنَاءَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف٨٢] فَكُنْ أَحَدَهُمْ أَوْ عَلَى أَقَلِّ تَقْدير جَالِسْ الصَّالحينَ دَائمًا؛ لَقَدْ خَلَّدَ اللهُ كَلْبًا بذكْره في القُرْآن؛ أَتَدْرِي لمَاذَا؟! لأَنَّهُ كَانَ يُجَالسُ الفتْيَةَ الصَّالحينَ أَهْلَ الكَهْف، وَقَدْ قَالُوا قَديمًا: الصَّاحبُ سَاحبُ، وَهُوَ كَذَلكَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ(١):"الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ؛ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِطُ،وَقَالَ مُؤَمِّلٌ: مَنْ يُخَالِلُ". وَلاَ تُذْهبْ إيْمَانَكَ بسُهُولَة، فَالإِيْمَانُ يَحْمي صَاحبَهُ وَقْتَ الشَّدَائد، كَانَ للإِمَام الشَّافعيِّ طَالبُ علْم صَالحٌ، يَتَوَسَّمُ فيه الخَيْرَ وَالصَّلاحَ، فَكَانَ يَقُولُ لَهُ نَاصحًا: يَا غُلاَمُ إنِّي أَرَى في وَجْهكَ نُورَ الإِيْمَان، فَلاَ تُذْهبْ هَذَا النُّورَ

(١) (حسن): أبو داود ٤٨٣٣، الترمذي ٢٣٧٨، أحمد ٧٩٦٨، مشكاة المصابيح.

بظُلْمَة المعْصيَة، فَادْعُ اللهَ -تَبَارَكَ وتَعَالَى- أَنْ يُبَاعِدَ بَيْنَك وبَيْنَ المعَاصي والذُّنُوب كما بَاعَدَ بَيْنَ المشْرِقِ والمغْرِب

واللهُ مِنْ وَرَاءِ القصْدِ...

واللهُ أعْلَى وَأعْلَمُ، تَقَبَّل اللهُ مِنَّا وَمِنْكُمْ صَالِحَ الأعْمَال

العَبْدُ الفَقِيرُ إلى عَفْوِ رَبِّه القَدِير

هَاني سعد غُنَيم

نَسْألُكُم صَالِحَ الدُّعَاءِ بِظَهْرِ الغَيْب...

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِه وَصَحْبِه وَسَلَّمَ

المَـراجِـعُ:

١) القُـــــرْآنُ الكَـــــرِيْمُ.
٢) تَفْسِـــيرُ ابـــنِ كَـــثِيرٍ.
٣) تَفْسِـــيرُ القُرْطُبِــــي.
٤) تَفْسِـــيرُ الجَلالَـــيْنِ.
٥) صَـــحِيحُ البُخَـــارِيِّ.
٦) صَـــحِيحُ مُسْـــلِم.
٧) البِدَايَـــةُ وَالنِّهايَـــة لابـــنِ كَثِيـــر.
٨) صَحِيح الجَامِع الشَّـيْخ الأَلْبَـانِيِّ.
٩) سِـــيَرُ أَعْـــلاَمِ النُّـــبَلاء.
١٠) أُسْــــدُ الغَابَــــة.
١١) سِـــيْرَةُ ابْـــنِ هِشَـــام.
١٢) وَمَرَاجِـــــعُ أُخْـــــرَى.

الفِهْرس

كُتُبٌ أُخْرَى صَدَرَتْ -بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ- لِلمُؤَلِّفِ:

فِي المَجَالِ اللُّغَوِيِّ:

١) أَشْهَرُ الأَخْطَاءِ اللغَوِيَّةِ الَّتِي يَقَعُ فِيهَا الدُّعَاةُ وَمُحِبُّو اللغَةِ العَرَبِيَّةِ.

٢) فُنُونٌ وَلَطَائِفُ لُغَوِيَّةٌ مِنْ رِيَاضِ لُغَتِنَا العَرَبِيَّةِ.

فِي المَجَالِ الإِسْلَامِيِّ:

١) رَمَضَانُ ذَلِكُمُ الشَّهْرُ الفَضِيلُ وَضَيْفُ اللهِ الجَلِيل.

٢) مَاذَا بَعْدَ رَمَضَانَ؟!.

٣) تَذْكِرَةُ المُسْلِمِينَ بِمَنْزِلَةِ وَطَاعَةِ النَّبِيِّ الأَمِينِ ﷺ.

٤) الابْتِلَاءُ تَطْهِيرٌ وَنِعْمَةٌ مِنْ رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ.

٥) التَّقْوَى جُنَّةٌ...وَطَرِيقُكَ إِلَى الجَنَّةِ

٦) الإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللهِ.

٧) الرَّحْمَةُ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَحَيَاةِ سَلَفِ الأُمَّةِ.

٨) الاسْتِغْفَارُ مِنْ كِتَابِ رَبِّنَا الغَفَّارِ وَسُنَّةِ سَيِّدِ الأَبْرَارِ.

٩) أُرِيدُ أَنْ يَرْحَمَنِي اللهُ، فَمَاذَا أَفْعَلُ؟!

تنبيهٌ مهمٌ: مَن اراد عددًا كبيرًا من الكتب المذكورة اعلاه او من هذا الكتاب بسعر رمزي؛ لتوزيعه في سبل الخير المختلفة فليتصل بالمؤلف على هاتفه المذكور في مقدمة الكتاب؛ لتدبيره، عسى الله أن ينفع بعمله هذا، ويجزيه خير الجزاء، والله وليُّ التوفيق..